THE LIBRARIES

COLUMBIA UNIVERSITY

LIBRARY SERVICE

LIBRARY

OCT 24 1974

D02.2 Sh13

عبد السلام محمد شيحاته
ليسانس دراسات عليا في الآداب
خبير في المكتبات من جامعة كولومبيا بنيويورك
عضو الاتحاد الأمريكي للمكتبات

المكتبة والمجتمع

المكتبة الحديثة في الثقافة والتربية والبحث

"لشد ما نحتاج للمكتبات بعد المدرسة والمعهد"
نيوبري

١٩٤٩

CU021714 73
DUPLICATE

Columbia University
SCHOOL OF LIBRARY SERVICE
LIBRARY

عبد السلام محمد شيحاته
ليسانس ودراسات عليا في الآداب
خبير في المكتبات من جامعة كولومبيا بنيويورك
عضو الاتحاد الأمريكي للمكتبات

المكتبة والمجتمع

"لشد ما نحتاج للمكتبات بعد المدرسة وبعد"
نيودورهوفلت

جميع الحقوق محفوظة

الثمن ١٤ ص

١٩٤٩

Lib Serv.
D021.2
S213

للمؤلف :

دراسات فى الثقافة المكتبية

١ - المكتبة والمجتمع سنه ١٩٤٩
٢ - سلطة الناشر بالانجليزية سنة ١٩٤٧
٣ - المكتبات العامة والسلطات فى مصر. بالانجليزية. سنة ١٩٤٧
٢ ، ٣ مخطوطان بمكتبة مدرسة المكتبات بجامعة كولومبيا.
٤ - المكتبة فى المدرسة (فى الاعداد).

أعمال أدبيـــة

١ - شاطىء الاحلام ، قصص مصرية، بمقدمة لفكرى اباظه بك. سنة ١٩٣٦ . نفد
٢ - المعابد المهجورة ، اسطورة فلسفية ، بمقدمة للدكتور محمد مندور. سنة ١٩٤١ ، نفد
٣ - مشاهد عربية فى امريكا. نشر بالبلاغ ، عام سنة ١٩٤٨
٤ - شجرة الدر فى شيكاجو . قصة مصرية مخطوطة ، مقدمة الدكتور لوجنز ، استاذ النقد بجامعة كولومبيا .

دراسات أدبية

١ - العبقرية الشاعرية بين الفرد والمجتمع ، لدرجة الاستاذية فى الآداب.

يطلب الكتاب من المؤلف ٨ شارع صديق كرم شبرا مصر

Lib. Serv.

Auth. Gift

الإهداء

إلى استاذى الدكتور على عبد الواحد وافى
استاذ علم الاجتماع بجامعة فؤاد.

هذا الكتاب

«أيها الرفاق،
ليس هذا بكتاب،
فمن يتأمله؛
إنما يمس أعماق روحي!»
«والت هويتمان»

قيل ان الشيخ الرئيس ، ابن سينا ، كان مولعاً بالمعرفة ، وأن من الأسباب التي هيأت له تحصيلها ، أنه استطاع أن يتسلل الى مكتبة أمير من الأمراء فالتهم ما وقعت عليه عيناه من مخطوطات إلتهاما ، أوحى له بنظرياته وآرائه فيما بعد .

ولكن عصرنا لا يحتمل إضاعة الوقت لتحين الفرص لمثل هذا الاختلاس ، لأنه عصر السرعة ، ولأنه عصر الديمقراطية التي من أهم واجباتها إتاحة الثقافة والمعرفة للناس ، لتوفير الفرص المتكافئة بين الافراد ، حتى يبرز منهم من وهب الاستعداد الفطري أو الصبر والأناة ، أو الشغف بالعلم . أو قل لينال كل فرد حاجته من المعرفة والعلم . فالتعليم حق مقرر لا يختلس كما كان قديما .

وليس عصرنا هو عصر حب المعرفة وجمع شتات من ألوانها المتباينة بالقراءة فحسب ، وهو بالتالي ليس عصر مجموعات الكتب ، ولكنه عصر تنظيم للثقافة والمعرفة ، وعصر تنسيق لمناهجها وأصولها ، ولهذا وجدت المكتبات كمنهج وظيفته أن أن ينسق وينظم المعرفة والتربية والبحث .

وحكمة الشرق والغرب تزخر بالاشارة إلى الكتب ، التي كانت منها المعجزات . فمعجزة الاسلام هي كتاب كريم ، والكتاب المقدس يذكر مثلا في العهد القديم ، أنه ليس هناك من نهاية للكتب التي يمكن ان تؤلف .

والغرب يقيم ، على الكتاب ، حضارته فى شتى ألوانها ، حتى ليقول كارليل معبراً عن نزعة تمجيد الكتب « ليبارك الرب كادموس ، أو أهل فينيقيا ، أو أى مخلوق آخر يمكن ان يكون قد ساهم فى اختراع الكتاب ». فاذا كان الناس فى الشرق والغرب يمجدون الكتب فما بالهم لا يمجدون تنظيمها والعمل على تنسيقها كمنهج للمعرفة ؟

أما فى الغرب فقد فعلوا ، وكان لكارليل بالذات ، وهو من أشرنا الى قوله، آية مشكورة . أما فى الشرق ، فلا زلنا نؤمن بالكتب وحدها دون ان نؤمن بتنسيقها واحكام منهاج للافادة امنها فى حياتنا وتعليمنا .

وهذه الفصول غايتها التعريف بوظائف المكتبات لعامة المثقفين والمربين، والباحثين . فهى ليست بالعلاج الفنى التفصيلى لفن المكتبات ، الذى كتب فيه عشرات الآلاف من المجلدات فى الغرب ، وانما هى عرض اجتماعى لاهميتها فى مختلف الاهداف . كما انها تسعى للتعريف بفن المكتبات نفسه ، مع ذكر مثل تلك المواد التى يتألف منها، وهو فن اختيار الكتاب.

وتلك الغاية واضحة فى الاسلوب الذى عالجت به هذه الفصول فهى ليست دقيقة دقة البحث الجامعى ، وان لم تغفل الاشارة الى أهم المراجع . كما انها لا تقصر أفقها على المشتغلين بالمكتبات وحدهم . لان غايتها أن تصبح هذه المؤسسات عميقة لاثر فى الحياة العامة وفى الحياة الخاصة كالجامعة والمدرسة

ومعامل البحث والهيئات المختلفة. وقد أظهرتنا هذه الدراسة على أن المكتبات، وإن هيأت الظروف الاجتماعية لنشأتها وتطورها الديمقراطي، فانها لم تنهض بالفعل إلا على يد أعلام نابهين في أوطانهم، ممن بذلوا الجهد والمال لانشاء هذه المؤسسات لخير مواطنيهم، وتحقيق ما تضمنه الوعى العام لمجتمعاتهم. كما أبانت عما تستطيع المرأة أن تساهم به في هذا الميدان التعليمي، فالمكتبات تدين لها في الغرب بالكثير. وما أحرى النابهين والنابهات بطرق هذا السبيل المبارك في الخدمات الثقافية الاجتماعية في بلادنا.

* * *

وهذه الفصول، وان كتبت عن خبرة ودرس ومشاهدة فان مادتها كانت جزءاً من فكرى وعقلى، بعد ان تمثلتها، فصارت مادة حية تنبض بحرارة الحياة. فلم تكن غايتى من التحصيل أن أقف عنده، وإنما أن أحيا وأعيش، هذا الذى أعرفه، ولو كان قليلا.

وإنى لأنتهز هذه المناسبة لأزجى الشكر للحكومة الأمريكية، التى كانت صاحبة الفضل بمنحى، بالاتفاق مع وزارة المعارف، منحة علمية لدراسة هذا الفن واكتساب الخبرة بالمكتبات. وهذا الكتاب ثمرة من ثمرات تلك المنحة المذكورة المشكورة.

وكم أحب أن تكون هذه الفصول الجزء الأول من سلسلة

ينشرها المختصون على الناس ، والجهود تبذل فى هذا الأفق ليتحقق بالفعل ما تستطيع أن تؤديه المكتبات الحديثة من خدمات حيوية . ولا شك ان المجتمع ، وان غمط حقوق القائمين على المكتبات فيما مضى ، فسوف يأتى فى القريب العاجل يوم تقدر فيه جهودهم المبذولة المشكورة ، لا سيما فى عهد راعى النهضة والعلم الملك الشاب فاروق الأول أيده الله.

وأخيراً لعل الصدور تتسع لاحتمال هذا الكتاب فى ثوبه المتواضع ، كما نلتمس العذر لأخطاء مطبعية وقعت لظروف قاسية ألمت بفترة طبعه .

وان تكن عيوب الكتاب أشواكا للورد ، فان الورد الذى له شوك يمكن ان ينظر اليه على أنه شوك له ورد ، كما يقول شيللر!

وأما أيهما الشوك وأيهما الورد ؟

فذلك حكم نتركه للقارىء الكريم .

نوفمبر سنة ١٩٤٩ عبد السلام شحاته

٨ شارع صديق كرم
شبرا مصر

بروميثيوس الجديد

« تحارب المكتبة ذلك الايمان الخاطىء الذى يوهم أن فترة التعليم تنتهى بانتهاء عهد المدرسة ، لأنها تؤمن بما يناقض هذا تماما . كما تؤمن بأن خير وسيلة لمعرفة شىء ما انما تكون حينما يحتاج المرء إلى معرفة ذلك الشىء »

چيرالد مكدونالد

اذا كانت أسطورة بروميثيوس فى القصص اليونانى القديم ترمز إلى ان الانسان سرق مشعل المعرفة من الآلهة ونزل به من السماء إلى الأرض ، فكذلك استطاعت الديمقراطية الحديثة أن تفعل ما يشبه ذلك فى الكتب والمكتبات فهى لم تقصر خدماتها على العلماء والباحثين الممتازين فحسب ، بل امتدت الى رجل الشارع والطفل وربة الدار والعامل والصانع والزارع والتلميذ وغير هؤلاء . ولا زالت تقدم خدماتها لكل منهم الى جانب ما تقدمه الى العالم الفذ ، والأستاذ الزاهد فى كل شىء عدا العلم والمعرفة .

ووجه الشبه واضح بين بروميثيوس القديم الذى سرق مشعل المعرفة وأذاع شعلتها بين الناس وبين الروح الاجتماعية الحديثة التى أتاحت الخدمات المكتبية لأبناء الشعب ولم تقصرها على العلماء وحدهم فنزلت بها من السماء إلى الارض كما فعل بروميثيوس الذى يرمز إلى تكريم الانسان وجعله القوة الفعالة فى هذه الارض . ولن يضير المعرفة فى شىء أن تذاع وتشيع وأن تكون إنسانية واقعية بدلا من أن تبقى فى كنوز الآلهة بين الأسرار المجهولة المقدسة ، ولن يضير المكتبة أن تذيع المعرفة وتتيح الاطلاع لأبناء الشعب . وقد تتهم لذلك بأنها أصبحت شعبية ولم تعد لأصحاب الأبراج العاجية وحدهم . ولكن من الخير لها أن تكون شعبية فى عصر تسوده الديمقراطية التى تحاول أن تهب جميع أبناء وطنها الفرص التى يظهرون فيها نبوغهم ونواحى استعدادهم . فالديمقراطية نظام سياسى يتيح الفرص

والامكانيات للملكات والمواهب على هذا النحو الانسانى الكريم العادل .

وقد كانت المكتبة فى الغرب مكاناً مقدسا أو هو بالمقدس أشبه ، فلا يلجها إلا العالم والأستاذ ومن يدانيهما مرتبة يقرأون ويطلعون على ما فيها من كنوز نادرة المثال . وقد عرفت قيمتها على هذا النحو منذ فجر التاريخ . فنجدها ملحقة بالمعابد المتعددة فى الشرق بين آشور وبابل ومصر . وكان فى معبد ادفو « بيت البردى » أو دار البردى على نحو ما نسمى الآن المكتبات بدور الكتب . وبلغ من قدسية الكتب فى مصر القديمة أنها كانت مرتبطة بالعلاج الطبى والروحى كما نجد ذلك فى معبد الرامسيوم .

والمكتبات سواء فى التاريخ القديم أو الوسيط لاتخرج عن ارتباطها بالدين ورجال الدين ومن بعدهم العلماء الأفذاذ وحدهم حتى كان التطور الديمقراطى فى القرنين الأخيرين أو فى هذا القرن العشرين على وجه خاص حيث اتجهت اتجاها شعبيا تبعا للتطور الاجتماعى فى القرن التاسع عشر الذى قامت فيه الصناعات وازداد نفوذ طبقة العمال وأبناء الشعب جملة كما هو فى انجلترا أو التى نهضت فيه الديمقراطية التى ترمى إلى تعليم المواطنين كما حدث فى أمريكا . ولا زالت هذه النزعة هى الدافع الأول للعناية بشؤون المكتبات كما يذكر الأستاذ جدسن چينجز فى ص ٣٢ من نشرة « الفرص المتكافئة » وهى من نشرات اتحاد المكتبات الأمريكى حيث قال « إن رفاهية البلاد الديمقراطية

إنما تكون بتعليم المواطنين ونشر المعرفة وإذاعتها بينهم . ولما كانت الكتب هى الأداة الأصيلة للتعليم حيث تودع فيها المعرفة وتسجل ، كان من الواجب على الدولة التى تنشد رفاهيتها ورخاءها أن تتيح الخدمات المكتبية لابنائها جميعا »

وقد سارت المكتبات فى الغرب قدما نحو هذه الاهداف. وأما نحن الآن فلا زلنا نفكر فى المكتبة تفكيراً أقل تقدما من الغرب . فما المكتبات عندنا غير «دور للكتب» ، وما الموظف القائم بشؤون هذه الدور غير « الأمين » وما الزائر أو القارىء أو المستعير إلا شخص يلح فى طلب المعرفة على حساب الدولة . ومعنى ذلك انه يجب معاملته بكل حزم فنأخذ المواثيق والعهود عليه حتى لا تضيع الأموال العامة هباء ، ومعناه أيضا ان المكتبة ما هى إلا خزانة للكتب ، وما القائم بالأمر فيها إلا خازن كل وظيفته أن يحرس الكتب ويحميها من القارىء المغتصب الذى يذكر المكتبة بسرقة بروميثيوس للمعرفة من الآلهة فى الاسطورة القديمة ! والفصول التى أسوقها للقارىء هنا انما أنشد وأرمى من ورائها إلى بيان وظيفة المكتبة الاجتماعية وأثرها فى الجماعة والتعليم من ناحية وبيان أن مهمتها ليست مجرد خزن الكتب والحرص عليها من ناحية أخرى .

ان المكتبة ليست كتبا . وليست وظيفتها خزن الكتب . وإنما هى اليوم فن يقوم على علوم وفنون متعددة وما الكتب إلا وسائل لغايات تربويه وتعليمية ، بل هى ليست بالوسيلة

الوحيدة التى تستخدمها المكتبة لتحقيق هذه الغايات . فليس العمل فى المكتبة هو خزن الكتب والقيام عليها فى حراسة صارمة ، وانما هو عمل ثقافى تربوى عظيم الأثر جليل الفائدة يجب أن يقف القائم عليه على أصوله وأهدافه وتفاصيله . ومن ثم فليس القارىء أو الزائر هو من جاء يغتصب أو ينال ماليس حقاً له ، بل انه على العكس جاء لينال حقاً من الحقوق التى يجب أن يتيحها له الوطن . وهذا واجب أساسى للمكتبات حتى ان المكتبة تقيس نجاحها بعدد من وصلت اليهم من الاصدقاء وبعدد ما أعارتهم من كتب ، وبمدى ما أفادوا من الكتب وغير الكتب مما تملكه المكتبة من وسائل التربية الاجتماعية الحرة . ولذلك كان من الضرورى أن يُعتبر القارىء والمجتمع الذى قامت فيه المكتبة عنصراً من أهم العناصر التى توجه سياستها وتكيف اتجاهاتها فى اختيار الكتب وفى أنواع الخدمات الأخرى سواء أكانت خدمات مراجع واستعلام أم خدمات أطفال وقص القصص عليهم واذاعة أحاديث لهم ، أو فى المحاضرات أو البرامج التعليمية أو برامج الموسيقى والافلام والمعارض ، أو الخدمات التى تقوم بها المكتبات فى الأندية الثقافية والاجتماعية والمدارس والمستشفيات والسجون ، أو الخدمات التى تصل الى الجهات البعيدة من بلاد صغيرة مجاورة وقرى هاجعة فى صميم الريف ، وكل ذلك طرف مما تقوم به المكتبات الشعبية فى الغرب . ومما يدخل فى تقدير المكتبة

ورسم سياستها القارىء وبيئته وحالتها الثقافية وتكوينها الاجتماعى والاقتصادى ونوع العمل السائد والتقاليد المتبعة الجارية والمؤسسات الأخرى التعليمية والمدنية والاصلاحية ويدخل فى هذا التقدير كذلك المكتبات الأخرى الموجودة فى المؤسسات والشركات والمدارس وغيرها فى الجهة.

وفى الولايات المتحدة اليوم ما يزيد على ستة آلاف مكتبة شعبية وستين ألف مكتبة فى المدارس وألف وستمائة مكتبة فى الكليات والجامعات وما يقرب من ألف وخمسمائة مكتبة فى المؤسسات الخاصة كالسجون والشركات ودور الصحف والجمعيات. وبلغ ما انفق على المكتبات الشعبية وحدها فى الولايات المتحدة فيما بين عامى ١٩٢٦ و ١٩٤١ ما يقرب من ستة ملايين من الجنيهات. وبلغ ما أضيف إلى هذه المكتبات فى المدة المذكورة ما يقرب من خمسين مليونا من المجلدات، وبلغ عدد ما استعير من هذه المكتبات الشعبية فى نفس الفترة ما يقرب من مائتى مليون كتاب. هذا فى المكتبات الشعبية وحدها، وهى غير مكتبات حكومة الاتحاد ومكتبات الولايات الحكومية ومكتبات المدارس والجامعات والمكتبات الملحقة بالمؤسسات الخاصة. ويبلغ متوسط ما ينفق على الفرد الواحد فى الخدمات المكتبية الشعبية فى ولاية كاليفورنيا مثلا ما يقرب من ثلاثين قرشا فى العام.

وأريد أن أتساءل: أين نحن من هذه النهضة الضخمة

الوطيدة العمد ؟ ولكنى لا أنكر ما يجول فى الاذهان من اعتراض على هذا التساؤل بما معناه : وأين نحن من امريكا ؟

واذا عرفنا ان الأمريكيين قوم عمليون لا يضيعون الوقت والجهد والمال عبثاً ، واذا عرفنا كذلك انهم سبقونا فى مراحل الحضارة الحديثة بأشواط بعيدة ومن الواجب علينا ان ننهض نهضة وثابة كيما نقطع الاشواط لنحقق معانى التحضر فى بلادنا ، أقول اذا عرفنا كل ذلك لما حق لنا أن نعترض على ذكر حقائق عن بلد آخر لم يكتف بما وصل اليه بل ما زال ينادى بوجوب مضاعفة الجهود حتى تسهل الخدمات المكتبية لعدد أكبر بحيث يمكن أن يصدق عليها ما نتصوره عن شعلة المعرفة التى هى جديرة بان تشعل النار المقدسة فيما لا حصر له من المشاعل . ذلك انه متى وجد فهم صحيح لهذه الخدمات ونهضت بالفعل مؤسسات معينة لتحقيق الغايات فانه لا حد لما يمكن أن تؤديه فى الغد ، ولا حصر لعدد المكتبات التى تنشأ فى المستقبل . فالعبرة هى معرفة وفهم الأصول والغايات التى تقوم عليها المكتبة فى المجتمع . ولذلك عنيت بنشر هذه الفصول المتواضعة التى تتحدث عما تستطيع المكتبة أن تهبه للناس أفراداً وجماعات بل للمجتمع الانسانى عامة حتى يستطيع التفاهم والتعاون على أسس مشتركة من التفكير وتبادل وجهات النظر المختلفة التى تتولى المكتبات ايجادها وتحقيقها لانها ذات غايات انسانية . وأكبر دليل على أهميتها من الناحية الدولية ما تقوم به مكتبات

هيئة الأمم من مشروعات لتبادل المعرفة فى النواحى العلمية والانسانية وتبادل وجهات النظر بصددها وإيجاد أسس فكرية مشتركة تكون دعامة لايجاد التعاطف والمشاركة الوجدانية بين الناس .

المكتبات الشعبية

لعل أروع مظهر انسانى فى مكتبات الغرب هو المكتبة الشعبية أو المكتبة العامة فى بلدة أو مدينة . وتكون عادة من آثار مصلح اجتماعى قدر للمكتبات قيمتها ومغزاها . مثل تلك المكتبات المتعددة فى انحاء امريكا وكندا وبريطانيا التى تبرع لها كارنيجى وكثير غيرها فى انحاء العالم الغربى . وكثيراً ما نجد المكتبة قد انشأها أبناء المدينة أو البلدة بواسطة النوادى الاجتماعية الاصلاحية كأندية النساء وغيرها فهى التى عملت على اتاحة هذه الخدمات فى البلدة أو المدينة مستعينة فى ذلك باخصائيى المكتبات فى حكومة الولاية أو الاقليم . وهؤلاء يعملون على مساعدتها ماليا وفنيا حتى تقوم المكتبة على دعامة وطيدة البناء .

وليست المكتبة الشعبية بمجموعة من الكتب ولا بمخزن لها ، وانما هى المركز الثقافى الذى يمد الفرد بالمعرفة عن طريق الكتب والاستعلام ، كما يمد الطفل والتلميذ وربة الدار والاستاذ وغير هؤلاء ممن يتباينون فى السن والمهنة والدين والجنس .

ولو هبطت إلى بلدة من تلك البلدان وسألت سائق السيارة أو عامل المطعم أو الصبى الذى يبيع الصحف عن المكتبة لعلمت ان هذه المؤسسة معروفة من الجميع . فهى بحق محط الأنظار وقبلة الناس ، وهى مركز الثقافة والارشاد الثقافى ، أو قل هى المنتدى الاجتماعى الثقافى للبلدة .

بناء بسيط جميل له نوافذ زجاجية لعرض الكتب الجديدة أو كتب عن موضوع معين ملائم لمناسبة وطنية أو اقليمية او ثقافية بحيث يراها الناس فى الشارع . وأما الباب فهو فى مستوى الشارع كذلك لا تشعر برهبة ولا بمشقة فى أن تلجه ، فاذا ما دخلت رأيت على أحد الجوانب مكتباً صغيراً لاجرآت الاستعارة ، وكل مواطن فى الولايات المتحدة ، مهما كان سنه ويستطيع ان يكتب اسمه ، له حق استعارة الكتب . فكل الاجرآت التى تتخذهما أن تكتب اسمك وعنوانك وصناعتك وميولك وتنتهى من هذا فى دقيقة فتتسلم منك الفتاة المكلفة بالأمر البطاقة ، وما هى إلا حركة يسيرة من يدها حتى تكون الآلة قد سجلت رقما لبطاقتك وأصبحت بذلك من اصحاب الحق فى الاستعارة من هذه المكتبة .

هذا مهندس كان قد استعار كتابا جاء ليقف على الجانب الآخر من المدخل حيث يوجد مكتب آخر ليرد اليه الكتاب فى أقل من دقيقة ثم يدخل بهو المكتبة ليستطلع ما لديها من كتب عن الهندسة المائية ، وها هوذا سائق سيارة يعيد كتابا

عن الراديو ويدخل ليستعير كتابا آخر عن التلفزيون ، وتلك سيدة جاءت فى صحبتها فتاة صغيرة لتسأل عن كتاب يتضمن قصة للأطفال تقرأ بصوت مسموع لطفلتها البالغة اربع سنوات من العمر ، وما هى إلا لحظة حتى يدخل صبيان يسألان عن كتاب عن معسكرات الرحلات . . . أما هذا الرجل الاصلع فلا يسأل أحداً وإنما يتجه الى حيث غرفة المجلات والدوريات التى تبحث فى التجارة والأسعار والاعمال . ولسوف يجد فى تلك الغرفة من المقاعد المريحة والجو المكيف الهواء ما يغريه باستقصاء الأسعار وتطورات سوق الفراء ، وسيجد فى جوها اللطيف ما يجعله يحتمل أنباء الخسائر ! . . .

وهذه مكتبة اخرى أضخم وابعد شهرة واكثر ثراء من المكتبة الصغيرة التى سبق زيارتها . ولجنا الباب فوجدنا - كما وجدنا آنفا - مكتبى الاستعارة فى ناحية واسترداد الكتب المعارة فى ناحية أخرى من المدخل . . . لنتركهما ولنسر خطوتين إلى الامام . . . هذا بهو جميل أنيق فسيح متعدد الأقسام كثير الحركة مما لا يجعل لاتساعه رهبة ولا كآبة . . . هذا مكان للاستعلام العام . . فتاة على نضد تبتسم وتقول - أأستطيع ان أودى لك خدمة ؟

قلت - أريد كتابا عن العبقرية فأين أجده ؟ وأريد عنوان صديق لى فى جامعة كاليفورنيا .

قالت - أمامك الفهرس العام للمكتبة فابحث فيه تحت مادة عبقرية لان بطاقات الفهارس عندنا تشمل اسم الكتاب واسم

مؤلفه وتشمل موضوعه ، فان كنت تبحث عن كتاب تعرفه فانظر تحت عنوانه ، وإن جهلت العنوان فابحث تحت اسم المؤلف ، وإن جهلت الجميع فابحث تحت اسم الموضوع فان لم تجد العنوان الذى تطلب فسوف تجد إشارة اليه تحت اسمه فى عنوان آخر . . . ها هوذا الفهرس ، وما دمت تريد كتلبا عن العبقرية فابحث تحت مادة « عبقرية » . . . ها هى ذى بطاقة بعنوان العبقرية . . . ولكنها تشير إلى أن الكتب التى تبحث فى الموضوع تحت مادة « علم النفس » فعليك ببطاقتها . . . وخذ رقم الكتاب الذى تريد واطلبه .

ووجدت ما أريد فقلت - ولكنى أضعت من وقتك شيئاً كثيراً .

فأجابت - إن من واجبى ان أرشدك الى استعمال الفهرس حتى تعتاد البحث بنفسك ، ومن حقك على ان ارشدك الى هذا وغيره . . . فانت تريد عنوان صديق لك فى كاليفورنيا . . حسناً ، اذهب الى قسم المراجع والاستعلام ها هو . . إنه أول شىء تلقاه على قيد خطوتين أمامك . . وهو فى واجهة الداخل لأنه مكان الاستعلام عن كل شىء حتى عما فى هذه المكتبة ، وهذا الفهرس الذى تراه وأنا نتبع قسم الاستعلام .

وذهبت الى حيث أشارت فوجدت الكتب العامة وأنواع الخدمات التى تكلمت عنها فى فصل آخر من هذه الفصول وبحثت فى دليل جامعة كاليفورنيا ودليل مدينة بيركلى التابعة لها حتى استطعت أن أعرف عنوان صديقى وبعد ذلك قلت - انى أريد

معرفة أقسام هذه المكتبة.

قالت السيدة القائمة على العمل - إن هذه مكتبة رئيسية ضخمة ولهذا فانها تقسم إلى أقسام موضوعية : فهذا قسم الصناعات والفنون العملية والعلوم ، وذاك قسم الديانات والفلسفة ، وأما الثالث فهو قسم علم النفس والتربية ، وهذا الرابع قسم التاريخ والتراجم والرحلات . واليك اقسام الآداب والفنون الجميلة وقسم القصص والأطفال وقسم المطبوعات المتعلقة بالاقليم .

ورأيت ان أزور هذه الأقسام التى لا يفصل بعضها عن بعض غير حواجز من الكتب . فكل قسم يمكن تضييق مساحته او توسيعها حسب الحاجة . أى ان التقسيم تقسيم مرن لا تقسيم مقفل . والمهم فى هذا كله هو ان الأقسام قامت حسب حاجة المدينة وحسب مدى الاقبال على كل نوع من انواع المعرفة ، سواء فى حجمها او فى قربها من المدخل .

فمما لا شك فيه أنه كلما كان القسم الأكثر استعمالا قريبا من المدخل كان أسهل وأيسر لأكبر عدد ممكن من القراء الذين ترعى المكتبه توفير ما يتصل براحتهم ومدى إفادتهم.

وكل قسم أعدّ بما يلائمه. فقسم الفنون الجميلة فيه التسجيلات الموسيقية وحجرة لسماعها وتسجيلات معارة من اندية موسيقية كما ان هناك نظاما خاصا لوضع مجموعات الاسطوانات والكتب الكبيرة الحجم الخاصة بنماذج النحت والرسم ، وهناك مجموعات دولية من التسجيلات ، فلكل دولة بضع اناشيد وهكذا . ومن

الممكن اعارة التسجيلات لأى شخص .

وأما قسم الآداب فيشمل مجموعات الشعر والتمثيليات ، ومجموعات المقالات والنقد وتراجم الكتاب وكتب عن المسرح والسينما والراديو والاذاعة والمحاضرات العامة والصحافة ، وكتب فى دراسة اللغات ، ومجلات نقد الكتب والمجلات الأدبية ، وتسجيلات صوتية لأعظم التمثيليات وهكذا .

وفى قسم علم النفس والتربية وجدت الكتاب الذى اريد على ارفف مفتوحة للجمهور حيث الكتب موضوعة وضعا مسلسلا حسب نظام فهرستها . وبسرعة اهتديت الى القسم الذى به الكتاب فلما وجدته رأيتنى انظر الكتب الأخرى ، الموضوعة الى جواره والتى تبحث فى نفس الموضوع تبعا لنظام التبويب الذي يقتضى ترتيب الكتب ذات المواضيع المتقاربة ، متقاربة على الأرفف تبعا لتقاربها فى الموضوع . وامكننى بهذه الطريقة ان اتصفح اكبر مجموعة من هذه الكتب وان اغير رأيى فى الكتاب الذى كنت اعتزم استعارته .

وفى الطابق الثانى وجدت الأقسام الأقل التصاقا بجمهرة الزوار . فهذه غرفة من طراز خاص فى أثاثها وترتيبها ، وهى منتدى يعرف باسم منتدى « ادجار ألن پو » وهو شاعر امريكى معروف احتفت به مكتبة المدينة التى اقترن اسمها باسم الشاعر فجمعت مؤلفاته فى طبعاتها المختلفة ، وجمعت الكتب والمقالات التى كتبت عنه وما الى ذلك . وهذا المنتدى هو النادى الوحيد

فى العالم الذى يشترك فيه من يعجب بالشاعر . ولعلك عرفت الآن انى اصف لك مكتبة « اينوخ پرات » بمدينة بلتمور .

وفى الطابق الثانى وجدت اقسام المكتبة من فهرسة وتبويب الى قسم اختيار الكتب وثالث خاص بالمكتبات الفرعية ورابع خاص بالخدمات الخارجية فى المدارس والأندية وغيرها من المؤسسات .. ولما ذهبت الى حجرة الأخصائى الأول للمكتبة (المدير) وجدت حجرته منزوية بعيدة عن الجمهور لانها ليست حجرة وظيفية للخدمات المباشرة للناس كأقسام المراجع والأقسام الموضوعية الأخرى بل هى لا تتعلق بالجمهور إلا فى حالات خاصة فهى المشرفة على الخدمات الداخلية للمكتبة .

ولما اقتربت من الباب وجدت لافتة كتب عليها « ادخل بدون استئذان » فلما قابلته وأطريت له ما رأيت . قال - هذه من آثار سلفى أما انا فأتتبع خطاه .

فعرفت كيف يسير هؤلاء القوم قدما فى مشروعاتهم !

وليس هذا التقسيم الموضوعى بالتقسيم الملائم لكل مكتبة لأنه لا بد من وجود مجموعات ضخمة من الكتب فى كل موضوع ، وهذا لا يتيسر إلا فى القليل النادر ، واما المكتبة العادية الشعبية فعبارة عن ركن للأطفال وركن للبالغين وما يتطلبه من خدمات الاستعلام والمراجع وغيرها . والكتب فيها مرتبة حسب موضوعاتها المبوبة تبعا لتقسيم عددى

يعرف باسم تقسيم « ديوى » وهو أشهر نظم التبويب المعروفة فى فن المكتبات.

وامتداد خدمات المكتبة عن طريق المحاضرات أو عن طريق مرشد القراءة، وامتدادها الى الأندية والمؤسسات أمور جديرة بان نوليها بعض العناية فهى تقوم على أساس ان المكتبة ترمى الى هدم الفكرة العتيقة القائلة بان الانتهاء من التعليم ينتهى بانتهاء المدرسة. كما انها حاولت أن تؤكد بجهودها ان خير وسيلة لتعليم الشيء تكون فى الوقت الذى يحتاج فيه الانسان الى معرفة ذلك الشيء.

ومن ثم تحاول المكتبة جهدها الاتصال بالناس بشتى الوسائل لتغريهم بالانتفاع بكتبها وبرامجها التى تنظمها للبالغين الذين يريدون اتمام تعليمهم بعد ان انقطعوا عنه منذ غادروا المدرسة. وكثيراً ما أعانت المكتبات الشعبية او المكتبات العامة على تكوين الملكات التى نجحت وكانت آيه على مجد الانسان فى المخترعات. وفضل المكتبة الشعبية على أديسون غير منكور فى تكوينه ودراساته التى أدت الى اختراعاته العظيمة. كما ان هناك عشرات العباقرة فى مختلف نواحى الآداب والفنون ممن انتفعوا بالمكتبات فى تكوينهم، وعشرات من المخترعين والاساتذة والشعراء والأدباء الذين نالوا الجوائز العالميه انما انتهوا الى هذه القمم التى صعدوا اليها لان المكتبات الشعبية كانت لهم مصباحا هاديا فى طريقهم الى المجد.. وكانوا

فقراء غرباء لا حول لهم ولا قوة فوجدوا فى المكتبة الشعبية الركن المشرق الذى يغذى القلب ويرفع النفس وينير الفكر .. هؤلاء العباقرة الخالدون هم تلاميذ المكتبة الشعبية.

واذا كانت المكتبة تعنى بالقراءة واشاعتها فانك تجد كثيرين كل همهم ان يفعلوا ذلك هربا من الواقع وأملا فى الابتعاد عنه . وفى هذا الهرب نقص وضعف وخذلان لاننا يجب ان نواجه الحياة وان نعالج الواقع ولكن السياسة التى اتبعتها المكتبة الحديثة لتنظيم القراءة بايجاد جماعات مختلفة تقرأ كتبا معينة لنقدها والتحدث عنها مكنت من ايجاد الحوار والمناقشة وتبادل وجهات النظر فيما بينهم . وبالتالى الى مشاركة ثقافية لا يستطيع الفرد ان يجدها عن طريق آخر.

ولهذا فلقد نظمت المكتبات فى الغرب برامج من هذا النوع يساهم فيها من يشاء . وقد تكون هذه البرامج منظمة لمدة طويلة لتعليم مهنة او لدراسة مستمرة لفترة كافية لان يكون الشخص خبيراً بموضوع معينة كما بينا هذا فى مكان آخر من هذه الفصول.

وكل ما يمكن ان يقال الآن ان المناقشات تكون وسيلة لتكوين الرأى السليم والاقتناع فى جو من الحرية ليستمد قوته من وزن كل رأى وسبر غور كل نقد فيتكون على الايام رأى عام وتتكون أسس ثقافية وروابط فكرية بين المواطنين تكون دعامة القومية . وكثيراً ما يساهم الاجانب فى هذه الاجتماعات والمناقشات فيتسع المجال لايجاد روابط عالمية انسانية لا قومية فحسب.

وقد يقوم أخصائى المكتبة بالحديث عن موضوعات أخرى وتكون مجموعة من الكتب التى تعالج هذه الموضوعات معدة للاعارة لمن يحبون الاستزادة من الاطلاع. وليس من الضرورى ان يكون ذلك داخل المكتبة فقد تمتد هذه الخدمات الى الخارج كما قلت. وقد أدت هذه السياسة فى كثير من الأحيان الى انتهاز الاخصائى فرصة هذه المحادثات ليتكلم عن المكتبة كلمة خلال الحديث. وكثيراً ما أدت هذه الطريقة التى تبدو غير مقصودة الى ازدياد نسبة رواد المكتبة وارتفاع نسبة القراءة.

واما الاحاديث نفسها فكثيراً ما أدت الى نتائج ملموسة الاثر. ففى ولاية « لويزيانا » أدى برامج محاضرات ومناقشات عن هندسة البناء الى ارتقاء مستوى المبانى عما كان عليه من قبل، كما أدت محاضرات وكتب اخرى عن التمثيليات الممتازة الى ارتقاء مستوى هذا الفن فى البيئة المباشرة، الى غير هذا وذاك من مئات الأمثلة التى تلمح فى ضوئها نتائج هذا اللون من نشاط المكتبات فى الغرب.

فاذا عرفنا هذا وعرفنا الصلة بين المشتغلين بالمكتبة والجمعيات النسائية والاصلاحية والمدارس والهيئات الاخرى واذا عرفنا ما تؤديه المكتبات من خدمات عن طريق الاستعلام والارشاد عرفنا انها بحق مركز النشاط الاجتماعى التى يتبلور فيها ويبدو جليا للعيان.

واذا كانت الجامعات اليوم والمدارس المنظمة البرامج يلتحق بها

من يتفرغون لها فليس معنى ذلك أن يهمل هؤلاء الذين يريدون اتمام تعليمهم . واذا كان كثير من الناس فارقوا مقاعد التعليم لانهم لم يجدوه شيقاً بل وجدوه سقيما بعيداً عن الحياة فان المكتبة الشعبية تحاول جهدها ان تبين من الناحية الأولى ان التعليم لا ينتهى بانتهاء المدرسة ، بل من الممكن ان يكون عن طريق المكتبة على نحو أكثر حرية ، كما انها تحاول من ناحية ثانية ان تبين ان خير المعرفة هى التى يحتاج المرء اليها حين يعوزه الالمام بها ، وحين يشعر بتفتح ذهنه اليها .

والى جانب هذا وذاك فان تعويد البحث وتزجية وقت الفراغ على خير وجه يمكن من أهم الغايات التى تسعى المكتبات فى الغرب الى تحقيقها .

وهكذا نجد هذه المكتبات قد ساهمت على نحو ملموس فى خدمات اجتماعية ووظائف ثقافية تربوية من الاهمية بحيث لا يجوز اغفالها بعد ان اتضحت ضرورية ضرورة المدارس نفسها فالمدرسة والمكتبة مؤسستان تعليميتان إحداهما للتعليم الرسمى والأخرى للتعليم الذى لا يتقيد بمنهج ولا برنامج ، وتغلب عليه الصبغة الحرة بدلا من الصبغة الرسمية فى المدرسة . وإذن فمن ينكر على الناس حقهم فى توفير خدمات مكتبية لهم هو كمن ينكر حق التعليم ويبعدهم عن مورد الثقافة .

فها نحن وقفنا على ألوان من نشاط المكتبة العامة فهى ليست كتبا تعار للخاصة ، وهى ليست خزانة تحتاج الى خازن ، وهى

ليست بعيدة عن القارىء وتعقد أمامه الأمور . وانما هي مؤسسة اجتماعية تتخذ الكتب وسيلة للتعليم ، وهي مدرسة أو جامعة حرة والقائم عليها معلم ومرب يفهم واجباتها وغاياتها وتفاصيل العمل المؤدى الى تحقيقها ، وهي تجعل القارىء أساسا في تفكيرها لانها ترمي الى خدمته . فمن أجله قامت ، وبماله أنشئت . . . . فالمكتبات ليست دوراً للكتب والقائمون بالأمر فيها ليسوا أمناء .

المكتبات الخاصة

ليست المكتبات الخاصة هي مايفهم من مدلول الاصطلاح لأول وهلة فهي لا تطلق على مكتبات الافراد وإنما المقصود بها أن تكون غير شعبية أو غير عامة وذلك مثل مكتبات الجامعات والكليات والمدارس والشركات والاندية والجمعيات والمعامل والمصانع والسجون والمستشفيات ، فهي على الجملة المكتبات التي تخدم طائفة خاصة أو الملحقة بمؤسسة معينة أو التي تختص بموضوع معين مثل مكتبة « فولجر » التي تحتوي على اعظم مجموعة من كتب شكسبير والكتب التي ألفت عنه بحيث تعتبر اعظم مرجع عن شكسبير الانجليزي وهي ليست انجليزية بل هي امريكية بمدينة واشنطجن . وقد انشأها أحد رجال شركات البترول من ماله الخاص تقديراً منه لذكرى الشاعر الخالد . ومثلها مثل مؤسسات أخرى قامت على أيدي أفراد رأوا ان يشجعوا العلم

والثقافة بمالهم ، وذلك فى البلاد المادية الحضارة !

ولما كنا سنتحدث عن مكتبات الجامعات والمدارس فى غير هذا المكان فلنتحدث هنا عن ألوان أخرى من المكتبات الخاصة . واذا كنا نعنى مكتبات التجارة والشؤون التجارية والاعمال فلن نجد أعظم من مكتبة إحدى ضواحى مدينة نيويورك وقد صارت مثلا لهذا النوع من المكتبات وأعنى بها مكتبة الاعمال بضاحية « نيووارك » التى تعتبر مركزاً للتجارة بفروعها المختلفة كما أنها تعتبر مركزاً صناعيا ممتازاً. وقد أنشئت منذ عشرات السنين على يد رجل من أعلام المكتبات هو « جون كوتون دانا » مع شخصين اوثلاثة . وليس لى ان أحدثك كيف كانت ضئيلة الشأن فى بادىء الأمر ثم اضحت علما فى ميدان المكتبات التى تعالج الشئون التجارية والصناعية . وما كانت لتكون كذلك لو لم تكن الضاحية التى أقيمت فيها تجارية صناعية .

وانك لواجدهناك نظاما وخدمات لا تراها فى الشرق. ففيها مراجع واستعلامات عن أدق ما يمكن ان يستعلم عنه تاجر او صانع او من يمت الى التجارة والصناعة بصلة. فهناك دليل المدينة ودليل المدن الاخرى والكتب السنوية للمنتجين والكتب السنوية لكل من يشتغل بالصناعة والتجارة ، وهناك احصاآت عن تجارة العالم وأسواقه وتطورها وأخرى عن الصادرات والواردات ، إلى جانب الخرائط التى تبين شؤون الانتاج

والصناعات والمواد الخام، ونشرات تسجل أسعار السلع والمنتجات وأخرى تسجل الاختراعات والتحسينات التى ادخلت على كل باب من أبواب الصناعة والفنون العملية. كل ذلك الى جانب النشرات العالمية والدولية التجارية والصناعية، وفهارس هذه النشرات والاحصآت والسجلات، وكتب عامة للارشاد فى كل هذه الأبواب. وانك لا تجد هذه الكتب فحسب، بل تجد كتبا أخرى ليس ما ذكرت إلا مثلا مما يجب ان يذكر. والأهم من هذه الكتب بقضها وقضيضها هو الخدمات التى تؤدى والمطالب التى تجاب عن كل استفهام واستعلام تقوم به فتيات ونساء وشباب وكهول عركوا هذه الكتب وتمرسوا فى اختبار هذه المراجع بحيث يستطيعون أن يدلوك عما تريد فى أقصر وقت ممكن. فالخبرة والمران فى شؤون المراجع والاستعلام من الامور الهامة ومن الشروط الرئيسية التى لا تكون بدونها خدمات مجدية. ولو انك أتيت بهذه الكتب جميعا فى أيد لم تمارس البحث فيها ولم تدرس خصائص كل منها لما استطعت ان تبلغ مما تريد شيئا. وقد زرت بضع مكتبات فى بلادنا ووجدت فيها كتبا قيمة تعتبر من عون المراجع، ولكنى وجدت القائمين بالأمر عليها لا يستخدمونها ولا يفيدون منها لانهم لا يعرفون من أمرها أكثر من انها كتب من ضمن الكتب التى كتب لها أن تخزن وان تحكم الابواب عليها خوفا من العبث بها او حرصا عليها من الضياع.

وأساس العمل فى المكتبات الخاصة هو توفير المعلومات المطلوبة باسرع ما يمكن . فاذا كانت المكتبة تابعة لشركة من الشركات وطلب منها ان تجيب عن سؤال يتعلق باحصاء أو انتاج أو اسعار فيجب ان تكون الاجابة سريعة حاسمة ، لان ارباب الاعمال الوقت لديهم من ذهب ، ولا طاقة لهم على احتمال البطء . ولذلك كان أهم ما يحتاج اليه الشخص الذى يعمل فى هذه المكتبات الخاصه ان يكون وثيق الصلة باستمرار بكل ما ينشر عن مؤسسته واعمالها والشؤون التى تمت الى هذه الاعمال بصلة وكثيراً ما يحتاج الاخصائى فى المكتبات الخاصة الى الاستعلام من مجموعات قصاصات الجرائد أو النشرات اليومية التى جمعها فى ملفات خاصة وبوبها تبويبا موضوعيا يتفق والاصطلاحات المستخدمة فى الشركة أو فى المؤسسة . بل لا أغالى كثيراً اذا قلت انه يضطر الى الاتصال بالخطابات والرسائل والتليفون ، بل ويستخدم البرق كيما يأتى بالاجابة المطلوبة عن استعلام يعنيه ما دام يعرف مصدره .

والافراد العاديون لا يستطيعون فى كثير من الاحيان القيام بالاجابة عن الاستعلامات بانفسهم لانهم اذا توفرت لهم الخبرة فكثيراً ما يعوزهم ثمن الكتب التى تعتبر كتب مراجع فى التجارة والصناعة والشؤون العملية والمهنية كالطب والزراعة والهندسة واعمال القانون وغير ذلك ، وهى كتب

أو نشرات تصدر على نحو دورى ، أى هى بالمجلات أشبه . وهى بهذا تكون أكثر قدرة على تسجيل الجديد المتطور فى هذه الشؤون .

ومن المكتبات الخاصة مكتبات المتاحف وهى تحوى مجلات ومطبوعات ومجموعات من الكتب فى الموضوعات التى تتصل باختصاص المتحف سواء فى ذلك الآثار أو التاريخ الطبيعى أو الفنون الجميلة أو معارض الصناعات والشؤون الزراعية . والاخصائيون والأساتذة وطلاب العلم والهواة كثيراً مايفيدون من مثل هذه المكتبات . وخدمات هذه المؤسسات لا سبيل الى الشك فى قيمتها خاصة لمن أفاد منها فعلا وعرف ما يتجه اليه التنظيم الحديث فيها من تسهيل . وقد رأيت كيف ان اخصائيا فى شؤون الآثار لستعان بمكتبة المتحف كيما يحقق ما اذا كانت التحفة التى عرضت عليه أثرية أو مقلدة حتى استطاع الاهتداء الى ذلك حينما جاء ذكرها فى دليل التحف التى بيعت فى المزادات فى القرن الثامن عشر .

ومن المكتبات الخاصة كذلك تلك التى تكون ملحقة بالمستشفيات وتكون غالبا للمرضى لا للاطباء حيث ان هؤلاء لهم مكتبات أخرى أكثر عناية بشؤون الطب والعلوم والابحاث الطبية ، وهى غير المكتبات التى نلحقها هنا بالمستشفيات . والقراءة وسيلة من وسائل العلاج النفسى لمن يستطيعها ، فهى من أنجع الوسائل التى ينسى بها المريض آلامه وأحزانه ، إذ

انها تشغله عن التفكير فى حالته . ويلاحظ فى اختيار الكتب التى تقدم للمرضى ان تكون بعيدة عن الجو الحزين والمآسى المفجعة ، وانما تكون مفعمة بالأمل والاشراق كيما يشرف المريض منها على العالم متفائلا يستقبل بها الحياة كما يستقبل يوما مشرقا وضيئا .

وكان الدافع على ايجاد هذه الخدمات فى الغرب التفكير فى توفير وسائل نفسية وجو نفسى لا يجعل المريض منفرداً بعلته وآلامه مما قد يزيد حدة المرض . ولذلك فما يكاد يقر الطبيب المعالج بان حالة المريض تسمح له بالقراءة حتى تزوره اخصائية المكتبة وقد دفعت أمامها عربة رشيقة أنيقة يتضاد لونها الابيض مع ألوان الكتب التى تحملها ، وهى تفتن فى تشجيعه على القراءة بعد ان تتحدث اليه وتعرف حالته النفسية والاجتماعية ومهنته ومشاغله .

ومعظم الكتب التى تقدم للمرضى خفيفة هينة يقصد بها تزجية دور النقاهة . ولكن ذلك لا يحول دون وجود مرضى من القراء الذين يحبون العمق والافادة الجدية مما يقرأون . وأكثر من هذا فان حالة المريض حالة ضعف أو حالة سلبية ، ومن ثم كانت نفسه قابلة للتأثير عليها ودفعها الى أحد الامكانيات الخيرة ومن ذلك القراءة التى ترفع النفس وتسمو بها وتدفعها الى الخير والحق والجمال .

وتحتوى مكتبة المستشفى على مجموعة من تلك الكتب فى

حجرة خاصة معدة كأحسن ما يكون الاعداد فى ترتيبها وأثاثها ومقاعدها وضوئها الملائم للحالة الجسمية والنفسية للمرضى. وقد لا تفى الكتب الموجودة بحاجة المستشفى فتلجأ الاخصائية الى المكتبة العامة فى المدينة لاستعارة الكتب المطلوبة منها.

ولا أظننى أقول جديداً اذا ما ذكرت ان هؤلاء الاخصائيين وهاتيك الاخصائيات لابد ان يكونوا قد درسوا ونالوا درجة جامعية فى الموضوع الذى تعنى به المكتبة الخاصة التى يعملون بها سواء أكانت مكتبة مستشفى أم سجن او مدرسة او شركة صناعية الخ علاوة على دراسة فنون المكتبات. ففى المدرسة مثلا نجد المدرسين الذين نالوا إجازات فى التربية وشؤون التعليم وأساليبه يدرسون فنون المكتبات بعد ذلك كيما يتخصصوا فى شؤونها وادارتها ما دامت المكتبة وحدة وظيفية فى التعليم الحديث كما سيأتى القول.

وهكذا تؤدى المكتبات الخاصة وظائف هامة تعين الخاصة من الباحثين والطلاب والمخترعين وأرباب الصناعة والمال والعمال الفنيين ومن اليهم على تحقيق غايات يسعون اليها ويفيدون بها الوطن والانسانية ويصبحون مواطنين صالحين ناجحين فى اعمالهم، فالمكتبة معمل خاص بالنسبة للمؤسسات الخاصة، معمل لا يقل عن معامل الكيمياء والطبيعة وتجارب الصناعات والاختراعات. وها هنا تدلك المكتبة على انها تفيد الناس وترشدهم إلى ما يطلبون فيتعلمون عنها حتى ولو كانوا

الأساتذة الذين لا يدانيهم فى علمهم احد بل لا ابالغ اذا قلت ان هؤلاء ما كانوا اساتذة الا بالمكتبة .

والآن ماذا نريد ؟

انى أقدم هذه الفصول لأنى أومن إيمانا راسخا بأننا إذا كنا نريد ان ننهض ببلادنا ونرقى بأساليب التعليم فيها ، وان نوجد فيها جيلا مسؤولا جديراً بتحمل التبعات القومية والمسؤوليات الثقافية والعلمية والانسانية فلا بد من ان نعنى بالمكتبات وان ننظمها ، لأن المدرسة لا تكفى للتعليم ، بل إن المدرسة نفسها لا تكون كذلك بغير خدمات مكتبيه تؤدى إلى تحقيق الأغراض التعليمية على اساس سليم . .

نريد ان نشىء المكتبة كما أنشأنا المدرسة . . ونريد المكتبة بالمعنى الصحيح الذى يجب ان ينطبق على مدلولها الصحيح .

نريد ان نقيم مكتبات على أساس سليم ، ونريد ان نشىء المعاهد لتخريج اخصائيين من ذوى الثقافات الرفيعة فى كل فن ، ونريد ان ندخل دراسة المكتبات وأساليبها فى كل دراسة ليتعلم الطالب وسائل البحث وإيجاد المراجع واستخدامها فى ابحاثه ورسائله ، ونريد ان تدرس فنون المكتبات ونظرياتها التربوية والاجتماعية فى معاهد التربية ليعرف المعلمون كيف يبحثون وكيف يرشدون الطلاب الى البحث ، ونريد مثل هذه الدراسة فى معاهد الصحافة والخدمات والدراسات الاجتماعية وغيرها .

نريد مكتبة سليمة واخصائيين مثقفين، لأن الذى يقدم الطعام يقدم معه الشهية .. ولان هذا الطعام ضرورى كالخبز .. ضرورى للطالب والباحث والاستاذ ورجل الشارع والرجل الذى ينام على الحرير . .

نريد اساسا اجتماعيا يقوم على المشاركة الثقافية وايجاد روابط فكرية وعاطفة مشتركة بين ابناء الوطن الواحد لتتكون القومية السليمة وليترى الفرد الاجتماعى .

نريد ان نوجد علماء ومخترعين وان نكشف عن المواهب التى اضطر اصحابها إلى مغادرة المدرسة اضطراراً لتأخذ مواهبهم سبيلها فى الحياة .

نريد ان نمحو أمية الأميين فى الريف . ومحو الأمية لا يكفى ما لم تكن هناك مكتبة حية تغرى الفرد على تجديد معلوماته والاضافة اليها .

نريد ان نوجد وسائل ثقافية لتزجية وقت الفراغ الذى يضيع فى للطرقات والمقاهى والظلام والخوف والتمرد .

نريد ان نمحو أمية المتعلمين الذين قطعوا الصلة بينهم وبين المعرفة والثقافة منذ غادروا مقاعد العلم ونالوا الاجازات التى هى بمثابة جواز مرور للوظيفة أو شارة حسنة يباهى بها اصحابها فى المجتمعات . . كل هذه جهود ضائعة وطاقة مبددة وذهب يضيع ترابا تذروه الرياح .

نريد المكتبات لاننا نريد المعرفة والثقافة للجميع على حد

سواء وبلا تفرقة بين طفل او شاب او كهل او زوجة اوعروس او جدة شيخة .. نريد المعرفة لكل فرد حسب ثقافته وعقليته وحالته . وليس من الضرورى ان تكون المعرفة بقراءة اينشتين ولا سبينوزا ، بل يكفى ان يطلب كل فرد ما يريد . وهو إن طلب التافه اليوم فسوف يطلب على الايام ما هو حقيق بان يبقى ويسمو به.

لنشعل المشاعل من النار المقدسة التى كانت لبروميثيوس البطل القديم .

من المعبد الى الشارع

«هيا لنخرج من هذا المكان العتيق المظلم لنرى
الناس فى ضوء الحياة»

المكتبة الحديثة مكتبة ديموقراطية تؤدى خدماتها الى رجل الشارع والعالم ، وتخدم الصبى والطفل والفتى والفتاة ، كما تسعى الى المدرسة والمستشفى والسجن ومراكز الخدمات الاجتماعية والمدارس . ومعنى هذا كله هو أن المكتبة لا تفرق فى خدماتها بين طوائف المجتمع بل تسعى إلى هؤلاء جميعا بشتى وسائل الدعاية والاعلان حتى يتضاعف روادها ويزداد عدد من يفيدون من مناهلها

تلك هى سياسة المكتبة العامة فى البلاد الديموقراطية وهى تعمل على توفيرها لتحقيق مبدأ إتاحة الفرص المتكافئة للمواطنين كيما تنمو ملكاتهم ويتموا دراساتهم حتى تتجلى مميزات كل عقلية وشخصية وتنال مكانتها الفردية والاجتماعية

واذا أردنا أن نستعرض أغراض المكتبة العامة وجدنا انها تعمل على :

نشر الثقافة وذيوع العلم .

تهذيب الذوق والملكات الجمالية .

العمل على تزجية وقت الفراغ على خير وجه ممكن.

تنظيم دراسات حرة لمن يريدون اتمام تعليمهم الادبى أو الصناعى أو المهنى .

ارشاد الجمهور ارشاداً صحيحاً عما يريد أن يعرفه فى شتى نواحى الثقافة والقراءة ، بل انها لترشده إلى أى ناحية من نواحى العمل أو التجارة أو السفر أو الاتصال بالخارج أو الاسعار وغيرها.

وللمكتبة وسائل متعددة فى تحقيق هذه الأغراض وما ينطوى تحتها ، فهى تستخدم الصور والتسجيلات الصوتية والافلام وقصاصات الجرائد والمحاضرات والمناقشات والاعلانات والنشرات إلى جانب الكتب . وهى تسعى إلى الريف ، فى مكتبات سيارة اذا كان من المتعذر إقامة مكتبات لصغر القرى ، كما انها تجعل مبانيها سهلة جميلة بسيطة جذابة بمعارضها الزجاجية التى تكون عادة مرئية من الخارج لمن يسير ، وتحاول أن تحتل بنائها مركزاً رئيسياً ليكون قبلة الانظار . وتبدو ديموقراطية المكتبة الحديثة فى نظامها الداخلى فى مظاهر أساسية .

فهى تحطم الحاجز بين القارىء وبين الكتاب فنجد الكتب موضوعة على أرفف مفتوحة فى متناول اليد وتكون مبوبة حسب تقسيم « ديوى » أو غيره ، وتقسيم ديوى يقسم المعرفة إلى عشرة أقسام بارقام مئوية فما قبل المئة هو المؤلفات العامة والفهارس ودوائر المعارف والدوريات العامة والجمعيات والمتاحف والصحف والمكتبات و١٠٠ تشمل العلوم الفلسفية و٢٠٠ الديانات و ٣٠٠ العلوم الاجتماعية و ٤٠٠ العلوم اللغوية و٥٠٠ العلوم البحتة و٦٠٠ الفنون العملية و٧٠٠ الفنون الجميلة ووسائل تزجية أوقات الفراغ و٨٠٠ الآداب و٩٠٠ التاريخ والجغرافيا .

ولكل من هذه الاقسام فروع رئيسية مثلا ١١ تابعة لـ ١٠٠ وهى الفلسفة ولكنها تخص الميتافيزيقا وهى فرع من

الفلسفة و١٥٠ داخلة فى الفلسفة كذلك ولكنها تخص علم النفس الذى يعتبر فرعاً من الفلسفة ايضا و ١٥١ فى الفلسفة كما ان الـ ٥ تشير الى علم النفس وهو فرع الفلسفة كذلك ولكنه خاص بجزء معين منه لأنه خاص بالذكاء. فاذا أردنا العبقرية من الناحية النفسية وجدناها ١٥١ر١ واذا أردنا العبقرية وصلتها بالجنون والشذوذ وهى دراسة نفسية كذلك وجدناها ١٥١ر٦٢ وهكذا نتبين أن ١٥١ر٦٢ تشتمل على أرقام يعبر كل منها فى خانته عن موضوع خاص حسب التقسيم المذكور.

والكتب ترتب فى الأرفف على هذا الأساس العددى مع وجود لافتة خاصة بعناوين الموضوعات الرئيسية لارشاد القارىء.

ويترتب على هذا التقسيم وضع الكتب التى فى موضوعات واحدة فى مكان واحد لا يختلف تقدمها أو تأخرها إلا على حسب اسم المؤلف وكذلك توجد الموضوعات المتقاربة فى التقسيم فى أمكنة متقاربة على الأرفف وبهذا كله يستطيع القارىء الاهتداء إلى الكتب التى تدرس الموضوع الذى يريد بحثه فى أقرب وقت بأبسط وسيلة كما تكون لديه فرصة للمقارنة للاختيار من بين الكتب التى تعالج ذلك الموضوع والتى يجدها متجاورة.

وإلى جانب هذا فان المكتبة تسهل الاستعارة وتتساهل فى عدد الكتب المعارة للاشخاص ما داموا يعيدونها فى

مواعيدها وإلى جانب هذا وذاك فهى تتيح خدمات المراجع والاستعلام لارشاد المواطنين فى كل ما يعتريهم من مشاكل تحتاج الى استعلام .

وهكذا يتضح لنا بادى. ذى بدء ما للمكتبة من سياسة حيال المواطنين بعد ما تبين أولى الأمر فى الغرب أهمية الثقافة والاطلاع فى عصر المكافحة والتنافس بحيث أصبحت المدرسة لا تفى بالحاجات العلمية والمطالب الثقافية لأن المدرسة مهمتها تعليم النش. فحسب دون أن تتجاوز هذا الحد مما يترتب عليه أهمية وجود مؤسسة عامة تكفل حاجات هؤلاء النش. بعد تخرجهم كما تكفل غيرهم بحيث توفر لهم أسباب الارشاد والاطلاع والاستفادة من وقت الفراغ ، وتهذيب الذوق وصقل الملكات ، وتيسر لهم أيضاً وسائل التكيف بالوسط الاجتماعى المتغير المتطور بحيث يعيش المواطنون فى انسجام اجتماعى بعيداً عن الخلخلة والاضطراب . ومن هنا كانت أهمية المكتبة باعتبارها مدرسة غير محدودة الأفق لانها مدرسة الجميع . وبالتالى قل انها مدرسة الحياة .

فكيف تطورت إذن المكتبات خلال التاريخ حتى وصلت الى هذا الحد ؟ وكيف اننا فى بلادنا وبلاد الشرق وقفنا عند مرحلة متأخرة من مراحل هذا التطور بحيث لا زلنا نعتقد أن المكتبة هى خزانة الكتب ؟ فلنقف على لمحات خاطفة وصور سريعة من هذا

التطور التاريخى

إن معابد مصر الفرعونية القديمة تسجل فى معابدها آثاراً لخزائن كتب كما ان معابد آشور وبابل تسجل آثاراً أقدم لهذه المؤسسات . وتوجد بقايا من الألواح التى كان يكتب عليها الآشوريون فى المتحف البريطانى . ويقال إن واحدة من هذه المكتبات كانت مرتبة ومبوبة بحيث كان يجب الاشارة الى رقم المخطوط حين يراد طلبه . أما المكتبات فى مصر فتنسب أقدمها إلى رمسيس الأول ثم تأتى مكتبة الاسكندرية التى تنسب نشأتها إلى بطليموس الأول ويقال انها كانت أعظم مكتبات التاريخ القديم وأنها حوت من أربعمائة ألف إلى سبعمائة ألف مخطوط وظلت كذلك حتى أتت عليها النيران فى القرن الرابع قبل الميلاد ، وأصبح من المعروف علمياً ان إحراقها لم يكن على يد العرب حين فتحوا مصر . وأسهل مرجع للرجوع اليه فى هذا الأمر دائرة معارف (كومبتون) المصورة ، ويقال إن مكتبة الاسكندرية كانت أكاديمية ومجمع علماء وبحاث يتخذون حدائقها الوارفة الظلال ملتقى للتدارس والجدل .

وقد كان ليوليوس قيصر فكرة إذاعة المكتبات وتعميمها فى روما كيما يجعل « عبقرية العباقرة حقاً مشاعا للشعب » حتى لقد احتضنت المدنية الامبراطورية نيفا وثمانية وعشرين مكتبة

ما لبثت أن اختفت بانحلال الحضارة الرومانية .

وهنا نلاحظ فى تاريخ المكتبات قديما أو حديثا انها كانت مؤسسات ملونة بألوان حضارتها الى أبعد حد بحيث كان يطيب دائما لمن ينتصر على عدوه أن يحطم المكتبات التى خلفها من سبقه كما لو كان يحطم روح النظام الذى يبغضه ويحاربه .

وكانت المكتبات ملحقة بدور العبادة أو القصور أو المدارس. وهذه كلها أمكنة تتركز فيها روح الحضارة والنظام القائم . وكذلك كان الحال فى المكتبات فى العصور الوسطى الاسلامية والمسيحية ، فقد كانت هناك مكتبات على النحو المذكور وكلها ذات طابع من الحضارة السائدة . وتبدو مكانتها فى العواصم الاسلامية الكبرى حين كان يفد عليها طلاب العلم وشيوخه ، وكان الخزنة يقومون بما يسهل حفظ المخطوطات وترتيبها وعرضها وإعارتها مما يجعلنا نقدر جهودهم .

ويذكر كل من صبح الأعشى (جزء أول طبعة دار الكتب ص ٤٦٦) كما يذكر توماس فى كتاب (المكتبات الوسيطة فى فصل المكتبات الاسلامية ص ٣٤٧) ما كان فى العواصم الاسلامية من مكتبات من أشهرها خزانة كتب العباسيين ببغداد التى يزعم بعضهم انها حوت ثلاثة ملايين من المجلدات ، وخزانة كتب بنى أمية فى الأندلس . كما يقال ان عدد مكتبات قرطبة كان لا يقل عن سبعين مكتبة وقد أتلفها جميعا ملوك الطوائف . ومن الخزائن الهامة كذلك خزانة

الفاطميين بالقاهرة ، كما يطلعنا تاريخ المكتبات فى القاهرة على آيات من تسامح الاسلام وهى ميزة من ميزات حضارته فقد كان بالعواصم الاسلامية مكتبات خاصة ببعض اليهود منها مكتبة يعقوب بن كليس وافرايم الطبيب وكانتا من أغنى الخزائن فى القاهرة .

وقد أحرقت هذه الخزائن أو اتلفت على يد الغزاة وهم عناصر أجنبية او همجية فى الغالب مثل ملوك الطوائف أو التتر . وهذا المسلك من عناصر معادية فى الحضارة أو العقيدة يؤكد ان هذه المؤسسات كان يتمثل فيهـــا النفوذ الروحى للحضارة الاسلامية وخاصة انها كانت مرتبطة بالدين والسلطة الدينية مباشرة .

وكذلك كانت المكتبات فى الحضارة المسيحية فى العصور الوسطى وقد بدأت على يد القديس بنديكتين الذى ألزم رعاياه بقراءة الكتب المقدسة وكتابة نصوصها مما ترتب عليه وجود مجموعة من المخطوطات فى كل كنيسة ومعبد . وقد ظلت الكنائس مركزاً للمعرفة حتى انتقلت سلطتها الى الجامعات التى هى أقدم فى مكتباتها من المكتبات العامة أو مكتبات الدولة كما سنبين ذلك فى فصل تال .

ويمكنك أن تطالع كتاب توماس الآنف الذكر لتلاحظ تفاصيل المرحلة الجديدة من مراحل التطور إذ نجد أن المكتبة قد فرضت لنفسها مكانة مدنية إلى جوار مكانتها الدينية التى

كانت مسيطرة كل السيطرة من قبل ويتمثل هذا فى مكتبات الجامعات الأوروبية القديمة حتى إذا كان عصر النهضة وشاعت الطباعة استقل التفكير عن الدين اكثر مما سبق ورأينا الاقبال على المؤلفات الكلاسيكية اليونانية والرومانية ، ورأينا على وجه عام إقبالا على الكتب والقراءة مما أدى إلى إنشاء مكتبات مدنية بحتة مثل المكتبة الأهلية بباريس ومكتبة المتحف البريطانى والمكتبة الملكية فى كل من برلين وميونيخ والمكتبة الامبراطورية فى موسكو . وبالرغم من ذلك كله لا نجد المكتبات شعبية على أى نحو من الأنحاء بل كانت تخدم الخاصة من العلماء والباحثين .

انبعث أول نداء بالمكتبة العامة على يد مارتن لوثر الذى اعتبرها ضرورية للتعليم . أما المكتبة فى روحها الشعبية التى نرى آثارها اليوم فيمكن إرجاعها إلى العقلية الأمريكية والانجليزية . فقد كان الزعيم الأمريكى بنجامين فرانكلن أول من نادى بوجوب تمويل المكتبة الشعبية بمال الحكومة ، وعلى هذا الأساس أقام مكتبة فيلادلفيا سنة ١٧٣٢ فلما نجحت الفكرة أخذت البلاد الأخرى تحذو حذو المدينة التى وعدت المجد والذكر . ففى نصف القرن التالى صارت المدن تتنافس فى ايجاد مثل هذه المؤسسات فى أمريكا وانجلترا . ونجد أن معظم الولايات الأمريكية أقرت اعفاءها من الضرائب ثم اتجهت اتجاها عجبا ، فقد أقرت فرض ضرائب خاصة تجبى من

الأفراد ضمن الضرائب العامة للخدمات المكتبية ، وأصبح للمكتبات شأن يذكر بعد أن نهض رب المكتبة الحديثة ميلفيل ديوي الأمريكي (صاحب التبويب المعروف باسمه) بانشاء اتحاد المكتبات الامريكي سنة ١٨٧٦ وظلت المكتبات تمضي قدما في أمريكا وغيرها حتى صار عدد المكتبات العامة اكثر من ستة آلاف الى جانب مكتبات الجامعات والمدارس والمؤسسات الأخرى.

واستعراض تاريخ المكتبات الشعبية يعطينا عنه فكرة كتاب مثل (اختيار الكتاب لويلار) سواء في انجلترا أو في أمريكا ، ومنه نتبين أن كثيراً من المؤرخين قد اتجهوا إلى القول بأن التطور الاجتماعي والنهضة الصناعية وما ترتب عليه من تضخم الثروة وارتفاع مستوى المعيشة وقيام الجبهات العمالية في القرن التاسع عشر كان له اكبر الأثر في تنظيم العمل وتحديد ساعاته مما نتج عنه وقت فراغ لم يكن موجوداً فلم يكن لمثل هذا التطور الصناعي أثر في المطالبة بايجاد مؤسسات تعنى بعقلية العمال وتهذيبهم وتزجية وقت فراغهم على أفيد نحو ممكن. وقد ساعد على ذلك ما أصبح لرجل الشارع من سلطة وشخصية وحقوق سياسية ، فالى أي حد تصدق هذه النظرية ؟

وما هي العوامل الاجتماعية المساعدة على هذا التطور ؟

النهضة الاجتماعية

ولعله من المفيد لنا أن نقف على مثل هذه العوامل لنعرف أن المكتبة ثمرة من ثمراتها والواقع أن تحديد العوامل الاجتماعية أمر من الصعوبة بمكان نظراً لتداخلها بحيث يصعب فصل مؤثر بعينه عن بقية المؤثرات. ولذلك فان التعصب للرأى السابق الذى يقول بأن التطور الصناعى أثر تأثيراً مباشراً على نشأة المكتبات الشعبية لا تؤيده وقائع التاريخ فى نشأة المكتبات الشعبية فى كل امريكا وانجلترا إذ ان الظاهر من هذا التاريخ كما نادى بذلك « ويلار » الآنف الذكر ان افراداً ممتازين بالثقافة والمكانة وحب الخير هم اصحاب الأثر المباشر فى إقامة هذه المؤسسات.

ففى انجلترا لم تظهر رغبة اجتماعية فيما يتعلق بطلب هذا النوع من الخدمات قبل ان يشرع البرلمان الانجليزى تشريعا خاصا بانشائها. وكذلك الحال فى بعض ولايات امريكا. وكان يقود الحركة افذاذ الرجال فى كل من البلدين.

بل لقد وجدت السلطات معارضة من الأهلين فى اول الامر حتى إذا كان جيل جديد اكثر تعليما امكن اقناعه بفائدتها، وما زال اهل النباهة والذكر والجاه والمال يمدون العون المادى والأدبى لتحقيق هذه المشروعات الشعبية.

وقد قدمت المكتبة فى امريكا العون والمساعدة للأجانب الذين وفدوا اليها مهاجرين دون ان يعرفوا الانجليزية ضمن

ما أدت من خدمات . وكان من هؤلاء من ذكر لها هذا الصنيع حتى إذا أتاه العمل والجد بالغنى والمال رصد ما يقرب من خمسين مليونا من الدولارات لانشاء المكتبات فى امريكا وانجلترا بين عامى ١٨٨٠ ، ١٩٢٠ وكان من شروط هبته ان يتبرع بالبناء إذا ما وهب المجتمع الذى يريد المكتبة ارضا للبناء وان ينفق عليها ما يعادل عشر ثمن البناء كل عام وذلك حتى يضمن وجود رغبة اكيدة ودوافع قوية للمحافظة على المكتبة والتقدم بها فى سبيل التفوق باستمرار ، ذلك الفرد العلم هو اندرية كارنيجى الذى كان له اكبر الفضل فى تطور المكتبات الشعبية وانتشارها فى امريكا وكندا وانجلترا .

وإذا كنا بصدد الحديث عن العوامل الاجتماعية فلنقل إن كارنيجى هو من خلق المجتمع والعوامل الاجتماعية التى جعلته يتجه هذا الاتجاه والتربية التى غرست فيه هذا الميل ، نعم كان كارنيجى من خلق المجتمع الذى عاش فيه . وإذا كان قد انفرد بهذه المكانة فى عالم المكتبة فقد تميز غيره بالتبرعات لانشاء المعاهد والجامعات والمستشفيات فى امريكا التى تربى فيها كارنيجى وغيره من المتبرعين ، وهذه المنشآت الاهلية تعتبر فى اكثر الاحيان خيراً مما تنشئه الحكومة هناك . فالجامعات الامريكية العظيمة هى جامعات أهلية لا حكومية وقس على هذا فى سائر المنشآت .

ومن العوامل الاجتماعية المختلفة التى أحاطت بنجاح وانتشار

هذه المؤسسات :

١ — انتشار المدارس الالزامية وتعميم محو الأمية .

٢ — توطيد الحرية السياسية الذى يجعل المواطنين اكثر اهتماما بشئون بلادهم كما تجعلهم القوة المحركة فى توجيه سياستها .

٣ — حركات الاصلاح الاجتماعى ، وتبدو هذه الحركات كأثر فى تطور المكتبة الشعبية فى انجلترا اكثر منها فى امريكا بينما كان انتشار الديموقراطية وكسب الحقوق السياسية فى امريكا هو الاثر الظاهر اكثر من حركات الاصلاح .

٤ — وجود الاندية الثقافيـــة وانتشارها مما نمى روح التفاهم والتبصر بالمناقشات والمحاضرات والعمل على تفتيح آفاق جديدة للثقافة .

٥ — الانتاج الصناعى ووجود فائض من الثروات الضخمة للاصلاح الاجتماعى والثقافى .

٦ — وقد ترتب على تنظيم العمل ووجود جهات للعمال وغيرهم من الطوائف الكادحة وجود وقت فراغ طويل وخاصة بعد تحديد ساعات العمل .

٧ — ارتفاع مستوى المعيشة حتى يستطيع الفرد قضاء حاجاته الضرورية على الأقل لتبقى له طاقة وقدرة واطمئنان للاستفادة والتحصيل لتحسين مستواه الثقافى والمهنى أو لمجرد التسلية بالقراءة واستخدام المكتبة .

٨ — الحاجة إلى وجود تعليم اجتماعى حر ينظم تعليم

البالغين الذين تركوا معاهد العلم ولم يتموا دراساتهم وقد وجدت المكتبات اكبر عون من المنادين بهذا النوع من التعليم المسمى Adult Education كما يظهر ذلك فى اتحاد تعليم العمال فى انجلترا ومكتب العمال للتعليم فى امريكا وهيآت تعليم البالغين فى هذين البلدين وفى حركة التعليم الشعبى فى الدانيمارك وغيرها. ومما تقوم به المكتبات فى هذا السبيل تنظيم مجموعات من الكتب عن موضوعات صناعية أو مهنية معدة لمن يطلبها وهى مرتبة من البسيط إلى الأصعب. ويشترط فيمن يريد أن يواصل هذه القراءة أن يستمر مدة كافية ليتردد على المكتبة فى أوقات معلومة من فراغه. وهذا النوع من التعليم يتوقف على رغبة الشخص نفسه فيواصله بنفسه ويشرف عليه مرشد للقراءة يحفظ لكل شخص من هؤلاء سجلا عن حالته ومستواه الثقافى والمادى ويمده بالنصح كما تسهل المكتبة لهؤلاء طرق الاستعلام عن الأعمال والمدارس والشركات والمعاهد التى يمكن ان تفيد كل فى فنه او عمله الذى يتعلمه كما تنظم المكتبة محاضرات ومجتمعات فى موضوعات خاصة بهؤلاء البالغين الذين يريدون أن يتعلموا لتحسين مستوى معيشتهم وإرضاء نزعاتهم.

٩ — وجود أندية النساء فى المدن والقرى. وقد كان لها الأثر الملموس فى إنشاء المكتبات الصغيرة فى البلدان والقرى خاصة فقد كانت النساء وما زلن - وكلهن متعلمات - يشغلن وقت فراغهن فى أعمال أنديتهن ويتنافسن فى إنشاء المكتبات

التى تغلب عليها الروح الشعبية والى تهتم بالأطفال والصبيان وغيرهم وتنظم برامج شيقة لاغرائهم على ارتياد المكتبة . بل ان أندية النساء قد زحفت بروحها على المكتبات حتى أمكن ان تسمى المكتبة الشعبية فى أمريكا بنادى القراءة . فالمكتبة التى من هذا النوع أشبه بمنتدى مجتمع صغير منسق بمبناه ومدخله ولوحاته وزهوره حتى لتحس بانفاس المرأة فى كل ناحيـــة من نواحى المكتبة .

١٠ — أثر التطور الاجتماعى فى ضرورة تقسيم العمل مما جعل من الواجب أن يخدم هذه المؤسسات أفراد مختصون . ولذلك وجدت معاهد لتخريج أخصائى المكتبات بل والتخصص فى فروع منها كمكتبات الأطفال أو مكتبات الجامعة أو المكتبات الشعبية أو الارشاد فى القراء أو من يختص بموضوع فنى مثل الفهرسة والتبويب والمراجع الخ .

١١ — والتخصص يستلزم الاقتباس والاستعانة بتطور العلوم الأخرى والاختراعات فى الخدمات المكتبية مثل التصوير والميكروفلم فى تصوير المجلدات الضخمة لتشغل أقل حيز ممكن مثل الجرائد وتصوير صفحات من الكتب والمجلات ضرورية لبحث أو لموضوع وتستعين المكتبات أيضا بفن العمارة فى البناء ، وبفنون الصحافة والدعاية والطباعة أو عـــلوم النفس والاجتماع وإدارة الأعمال الخ .

١٢ — التربية الاجتماعية السليمة التى تشجع كل من يجدد

فى الفن ويساهم ولو بجهد ضئيل واحترام القارىء مما جعله يقبل على القراءة. وكل ما يمكن أن يتضمنه التعاون والتقدير والاجتهاد والاخلاص فى العمل من معان . ويتضمن هـذا أيضا احترام المجتمع لما يؤديه اخصائى المكتبة من واجبات ثقافية واجتماعية يشترط لها مستوى تعميم من التعليم الممتاز والخبرة بدقائق المهنة.

وبالرغم من كل هذه الأسباب فان فى استطاعة الأفراد الممتازين أن يفيدوا وأن يتبرعوا بمالهم ونفوذهم وجهودهم. فهكذا تسير حركات الاصلاح لتعكس الحركات الجماعية فى أفراد بالذات.

مدرسة الحياة

« ان خير تعليم هو ذلك الذى يستطيع الفرد أن ينـاله بنفسه . ولهذا فان المكتبة العامة القادرة يجب ان تهيء له هذه الظروف ووسائلها »

چيمس رسل لويل

رأينا كيف ان المكتبة الشعبية تخدم الناس اجمعين، وتحاول بمظهرها ان تغريهم وتشوقهم للقراءة. وإثارة التشويق مبدأ تربوى واهميته هنا انه لا يقتصر على التلاميذ وإنما يمتد إلى جميع الأفراد كباراً وصغاراً وهم فى أشد الحاجة الى المعين وسط تيارات الحياة الاجتماعية، إذ ان المكتبة تقوم على اتصال الافراد بأفكار الجماعة وتطورها وتفكيرها وثقافتها عن طريق الكتب والمطبوعات وغيرها، كما أنها تهدف الى ان تكون لديها مجموعة منظمة من المواد المنشورة فى الصحف اليومية الى جانب ما لديها من دوائر المعارف والمراجع. ومعنى ذلك انها ترى ان تهيء من هذه المنشورات التى تتضاعف بسرعة عجيبة مادة مختارة مهضومة. وعلى هذا النحو وعلى اعتبار ان هذا كله هو رأى المجتمع وسجل حياته وتطوره يمكننا ان نقول إن الجريدة اليومية ما هى إلا مكتبة اليوم الذى نعيش فيه. اما المكتبة فهى صحيفة كل وقت.

ورأينا كيف ان المكتبة ليست وسيلة للتعليم فحسب، وانما هى منهج متميز فى هذا التعليم لمختلف الطبقات وخاصة أولئك البالغين الذين يعتمدون على المكتبة فى إتمام تعليمهم المهنى او الفنى. والطابع الخاص بمنهج التعليم فى المكتبة هو الحرية. ومثل هذا التعليم هو خير ما يمكن ان يفيد المرء فى حياته ويبرز شخصيته. وفضلا عن ذلك تعتبر هذه المؤسسات خير مكان لمعرفة افكار المجتمع ومشاكله وتطوره وتكييف الفرد. فهى

فى الواقع أبعد غوراً وأعمق أثراً فى الحياة الاجتماعية مما نظن ، بحيث تعتبر المكتبات مؤسسات ضرورية كالمدارس والمستشفيات فهى ليست ترفاً بل هى روح التعليم العام وبؤرة الرقى الفكرى والحضارى .

ولهذا السبب أمكن ان نقول مع « بسطويك » فى ص ٢٠ من كتاب (المكتبة الشعبية الأمريكية) : إن تعريف المكتبة الشعبية « هو انها المكتبة التى يملكها او يديرها الشعب او التى تخدمه بلا مقابل من المال » ، ولذلك كان من الطبيعى ان تنفق عليها الدولة او الهيئات المحلية من الضرائب التى تجبيها من الشعب ولما ذكره المؤلف السابق فى كتابه (المكتبات والمجتمع ص ٣٩٨) من ان « أثر الكتب على المجتمع إنما هو أثر بالغ حقا إذ هو اعمق من صحبة الانسان لصديقه الانسان . فالمكتبة تبعث إيحاء فى اعماق المرء وتمس روح كيانه وعقله وشعوره وإرادته . والكتب هى التى تخلق او تعـــدل معايير الأخلاق وتبنى قيم الحياة والسلوك وتمسك بزمام مشاعرنا وتلون منظارنا الذى نشرف به على الحياة » .

ومهما يكن الأمر فان واجب رعاية الدولة والأموال العامة للمكتبات الشعبية وما يماثلها يرجع الى انها :

١ — ضرورية للشعب ضرورة المدرسة نفسها

٢ — انها المؤثر التعليمى الفريد الذى يستطيع ان يمتد فى الحياة ويجعل المواطنين جميعا عملاء

٣ — انها الوسيلة الناجعة لتزجية وقت الفراغ على خير نحو ممكن وجدير بالدولة أن تنفق على مؤسسة تؤدى هذا الدور الخطير فى الحياة الاجتماعية من الأموال العامة.

٤ — من الواجب أن تكون عامة لا خاصة حتى لا تتحكم فيها الأهواء والنزعات الفردية.

وعلى ذلك تعتبر المكتبة منشأة اجتماعية عامة لاستكمال التعليم العام. والمدرسة عاجزة عن تأدية مهمتها لجمهرة الناس الذين هم بعيدون عنها. واذا صح التحايل على تكليف المدرسة وظيفة المكتبة العامة كانت النتيجة فشلا ذريعا مترتبا عن عدم إقبال الكبار على مدرسة الصغار وعدم فهم المدرسين لعقلية الكبار الذين يختلفون عن هؤلاء الصغار كما اظهرت التجارب ذلك فى بعض المناطق التى لا توجد بها مكتبات عامة فى امريكا.

وغنى عن البيان فى هذا الموضوع ما سبق ذكره من ان جو الحرية فى المكتبة العامة جوهرى اصيل فيها، وهو لا يتوفر فى المدرسة التى تتخذ والنظام والتقييد منهجا حتى فى أرقى البلاد التى تحاول تحرير المدرسة فبينما نجد المدرسة محدودة البرنامج نجد المكتبة ابعد هدفا لانها تخدم مختلف الطوائف ومتباين العقليات. فقد باتت تخدم كل مهنة وصناعة وتحاول تلبية حاجات مختلف الميول والطبائع من عميان الى صناع إلى علماء الى شعراء الى نساء الى اطفال، فهى الجامعة العامة التى لا تعرف برنامجا محدوداً وانما تعرف منهجا فى التعليم آيته التحرر من البرنامج

للرسوم ، كما انها تضع سياستها تبعا لحاجات البيئات والأوساط التى تعيش فيها ، والتاريخ والثقافة ولون النشاط الذى يسيطر على حياة المواطنين بحيث تكون وسيلة ضرورية للتقدم الاجتماعى .

وعلى نحو آخر نقول إن المكتبة التى توفر هذا النهج الفريد من التعليم الذى يسمونه تعليم البالغين ضمن ما توفر من المزايا الاجتماعية الجديرة بكل عناية ورعاية من الدولة. وتعليم البالغين كما قلت آنفا يرمى الى تنمية الملكات وغالبا ما تكون للحذق المهنى لرفع مستوى المعيشة بزيادة الأجر، وذلك عن طريق الكتب وبرامج القراءة والمطالعات والمحاضرات والمناقشات التى تكون الرغبة الشخصية فى المتعلم وحدها هى الحافز دون ان يحدها المعلم بتعاليم وتوجيهات مقيدة . ومثل هذه الدراسة الحرة الاختيارية ضرورية حتى لقد أذاع اتحاد المكتبات البريطانى سنة ١٩١٧ فى لائحته ان الغرض التعليمى للمكتبة يتلخص فى « تعليم الأشخاص لأنفسهم فى جو يسوده التحرر وعدم التقييد » . ومعنى ذلك يتلخص فى هذه المعانى التى أكدناها لأهميتها والتى لا تخرج عن ان هذا التعليم يعتمد على الفرد ورغبته وهدفه وقدرته .

ونجد فى مصر كثيراً من الكتاب والمفكرين ممن فطنوا الى هذه الأمية بين البالغين بل وبين المتعلمين أنفسهم وارجعوا ذلك الى فساد التعليم والتربية . وأود ان أشير الى ان أمية المتعلمين المثقفين ومحاولة ترقية مستواهم عن طريق القراءة

والاطلاع ليست هى ما يطلق عليه اصطلاح تعليم البالغين ، لان مثل هذا النوع من التعليم لا يقف عن مجرد شغل وقت الفراغ ورفع النفس عن الصغار بالقراءة ومصاحبة الكتاب ، بل هو تنظيم من جانب المكتبة لأنواع من دراسات الموضوعات العلمية والفنية وغيرها . ولا يجاد كتب منطقية التدرج من السهل الى المعقد فى هذه الموضوعات وتنظيم برامج ينتظم فى سلكها من يريد ان يواظب ويستمر كما يشارك فى البرامج التعليمية الأخرى من محاضرات ومناقشات فيستفيد كل منهم من خبرة المكتبة فى الاستعلام والاسترشاد عن كل ما من شأنه ان يرفع مستواه فى مهنته او فنه أو هوايته ، وذلك كله تحت اشراف مشرف القراءة أو مرشدها . ومعنى ذلك ان تعليم البالغين غير مجرد رفع النفس وشغل وقت الفراغ بالقراءة ولو ان ذلك من الوظائف الهامة للمكتبة العامة ولكنها وظيفة أخرى غير تعليم البالغين . ونحن فى أشد الحاجة الى تحقيق هذه الاهداف وغيرها فى مكتباتنا ، فما لا شك فيه اننا من أكثر البلاد احتضانا للمقاهى التى تضم بدورها ملايين من الناس فى المدن والقرى يضيعون وقتهم سدى وتنطع منكر وعبث ينتهى بالشر والجهل . ومن الواجب أن نهدى هؤلاء السبيل الى المكتبات الحديثة اذا ما أنشأنا عدداً صالحا منها على أساس سليم وكانت هذه المكتبات وثيقة الصلات بالبيئة ومشاكلها .

وهكذا عنى الغرب بانشاء المكتبات سواء كانت هذه العناية

من جانب الافراد أو الهيئات العامة أو الحكومات . ولم تك هذه العناية عبثا ولا سخفا لان المكتبات التى نعنيها ليست خزائن للكتب وانما هى مراكز للنشاط الاجتماعى يقصدها الافراد فى كل وقت لتزجية الفراغ أو الاستعلام أو القراءة والاطلاع أو الافادة من برامج تعليم البالغين أو غير ذلك مما هو واضح فيما سبقت الاشارة اليه. وقد استعدت هذه المكتبات بنظمها وترتيبها وفهارسها وبنائها وبالعاملين عليها خير الاستعداد لتجتذب أكبر عدد من الناس الذين يفيدون منها إفادة جدية وتقيس نجاحها بمدى ذيوع شأنها وكثرة اصدقائها.

وتتضمن هذه الوظائف كون المكتبة حافظة للتراث الاجتماعى والثقافى بما فيه من آداب وعلوم وفنون ليكون ذخراً للأجيال وسجلا للتاريخ فى تطوره وللحياة فى تغـــيرها . وهى فى نفس الوقت تجعل هذا التراث متاحا لجميع ابناء المجتمع الحاضر . ومما يدخل فى وظائف المكتبة، باعتبارها منشأة اجتماعية، انها تعمل جاهدة على اشاعة عناصر ثقافية وفكرية وروحية موحدة وإيجاد التجانس بين افراد المجتمع الواحد سواء فى عملها العادى أو فى برامج المحاضرات والمعارض والمناقشات وبكونها منتدى للجماعات الثقافية والاجتماعية والدعوة إلى الأفكار السليمة ومناقشتها تحت اشراف أخصائيين سواء أكانت هذه الأفكار سياسية أم فنية أم اقتصادية أم أدبية أم لمجرد المعرفة والاطلاع. وعملها على ايجاد التجانس بين أبناء المجتمع الواحد لا يقتصر

عند هذا بل بعملها العادى واختيارها كتبا معنية واتجاهها اتجاها اجتماعيا معتدلا فى سياستها . إلى جانب عملها على نشر المعلومات الصحيحة بالاجابة عن كل استعلام فى أقسام المراجع ، وهى أقسام موجودة فى كل مكتبة يصح أن تسمى مكتبة حديثة مهما صغر حجمها وقل شأنها . كما انه من المعلوم انها تهيء للاطفال والصبيان مكانا فى مجالها ، كما تهيء كل وسائل العون لارشاد الباحث والعالم وإذاعة المعرفة .

لهذا كله اعتبرت مؤسسات اجتماعية أصيلة لها ضرورتها وأهميتها بحيث لا يستغنى عنها المجتمع المتحضر بأى حال من الأحوال . ولما كانت وظائفها حقا عاما متضمنة فى برامج التعليم العام والاصلاح الاجتماعى فقد احتضنتها الحكومات فى الغرب وبذلت لها المال والعون واعتبرت حق المواطن فى الخدمات المكتبية لا يقل عن حقه فى التعلم بالمدرسة .

أليست المكتبة هى إذن جامعة الشعب ؟

أليست هى مدرسة حرة أو مدرسة الحياة ؟

سلسلة المدنية الى صميم الريف

« بعد المدرسة وانشاء المعبد لله فليس ثمة ما هو
أكثر خيراً لبلادنا من المكتبة »

تيودور روزفلت

يحسن أن نلم بأنواع المكتبات التى تمولها الاموال العامة حتى نستطيع على ضوئها أن نحدد ما يجب على مكتباتنا المماثلة القيام به سواء أكانت هذه المكتبات المراكز المكتبية الكبرى أم المكتبات الصغيرة فى صميم الريف وهما غير المكتبة الشعبية فى المدينة أو البلدة وهى التى تحدثنا عنها حتى الآن .

وأمثال المكتبات الكبرى هى مكتبة الدولة ومكتبات الولايات وهى المكتبات الرئيسية التى تحفظ التراث القومى أو الاقليمى وتكون بمثابة مراكز عامة للباحثين فتعنى بهم على نطاق واسع بحيث تلبى كل ما من شأنه ان يسهل البحث من مراجع وكتب فى انحاء البلاد ، والتى من شأنها ان تكون كذلك مرشداً ومعيناً لا للباحثين فحسب بل لسائر المكتبات الشعبية والخاصة، فلسنا هنا بصدد مكتبات صغيرة شعبية على النحو الذى سبق ذكره فى مكتبات البلاد والمدن وانما نحن إزاء مكتبات اضخم واوسع نطاقا بحيث يجعلها ذلك فى مستوى قومى فى البلاد التى توجد فيها فلا تتقيد بالبلد الذى توجد فيه وانما تمتد إلى إقليمها أو قطرها حسب التقسيم السياسى لأن الحكومة الحاكمة هى التى تسيطر عليها وترسم سياستها الثقافية وخدماتها العلمية وهى التى تمدها بالمال وتختار موظفيها حسب اللوائح المتبعة وتبعا للأهداف المرسومة وتحقيقا للخير الذى تنشده الدولة أو الحكومة من الخدمات المكتبية والذى يعود على الوطن وينهض بالبحث والتقدم العلمى فى بلادها وفى البلاد الأخرى

فى كثير من الأحيان .

ومن مكتبات الدولة مكتبة الكونجرس بمدينة واشنطجن عاصمة الولايات المتحدة ومكتبة المتحف البريطانى بلندن ومكتبة الدولة بباريس ومختلف مكتبات الدولة فى عواصم العالم المتحضر .

ونجد فى كل من مكتبة الكونجرس والمتحف البريطانى مثلا مكتبا لتسجيل حقوق التأليف ملحقا بها ووظيفته تسجيل حقوق التأليف والنشر بشرط ان تودع نسخة اونسختين من كل كتاب. وبذلك تحفظ الدولة لنفسها سجلا كاملا بكل ما أخرج من الكتب ويتم للمؤلف والناشر على هذا النحو تسجيل حقوقهما .

وقد قدم كاتب هذا تقريراً إلى دار الكتب المصرية فى مارس سنة ١٩٤٨ كان من ضمن ما احتواه ، لرفع مستوى خدماتها ، ان تعمل الدار على استصدار قانون يبيح لها الحصول على نسخة من كل كتاب يصدر فى مصر على نحو ما تحصل عليه المكتبات الأخرى فى الخارج وذلك لتكون مركزاً لمراجع البحث وسجلا لما ينشر ويطبع ويصدر فى انحاء البلاد ، كما تمهد بذلك لتسجيل حقوق التأليف والنشر .

ويمكن عن طريق مثل هذه الخدمات تنظيم تبادل المطبوعات مع الدول الأجنبية ومكتباتها ومعاهدها ومدها بالفهارس التى تحتاجها مما ينشر او يطبع فى وطنها .

وفى بريطانيا نجد المشروع القومى لتنظيم استعارة الكتب فى انحاء بريطانيا ومركزه مكتبة المتحف البريطانى . وهو مشروع

يتيح لأى قارىء فى أية جهة ان يطلب الكتاب الذى يريد استعارته من مكتبة الولاية او المقاطعة عن طريق مكتبة البلدة أو المدينة أو الهيئة إذا لم يوجد بها، فاذا لم يوجد بها هى الأخرى طلبته من المكتبة الرئيسية بلندن. ويترتب على هذا النظام جعل الثروة الضخمة للمكتبات الرئيسية فى خدمة الباحث والمطلع فى أية جهة فى بريطانيا ولو كانت بلدة نائية او قرية خاملة.

وغنى عن البيان ان فهارس محتويات مثل هذه المكتبات الرئيسية بالغة الفائدة فى الارشاد إلى معرفة ما تحتويه كل مكتبة حتى يكون الطلب منها على أساس صحيح. ومن الفهارس الكاملة الحديثة لمكتبات الدولة فهرست وفهرست مكتبة الكونجرس وفهرست المكتبة الأهلية بباريس. واما فهرست المتحف البريطانى فلم تنته طبعته الحديثة الشاملة بعد.

واذا لزم الباحث الاهتداء إلى مراجع تبحث موضوعا معينا فلا شك ان هذه المكتبات الرئيسية تستطيع افادته فتعد القوائم اللازمة لكل بحث. ومثل هذه الخدمات موجودة بمكتبة الكونجرس الأمريكية التى تتقاضى عنها نفقات زهيدة لاعتبارها إياها خدمات خاصة تستلزم جهداً أكبر وعملا أشق من عمل المكتبة الشعبية، كما ان مثل هذه المكتبات بما لديها من ثروة علمية من المعارف، تستطيع ان ترسل صفحات مصورة من مقالات الصحف او المجلات او الكتب لمن يطلب هذه الصور، وتتقاضى المكتبة على ذلك نفقات زهيدة ايضا. وهذه الخدمات

موجودة فى مكتبة الكونجرس كذلك .

وبعض مكتبات الدولة وخاصة الكونجرس، تطبع بطاقات لكل كتاب جديد وهذه البطاقات تشتمل على كافة البيانات المطلوبة عن كل كتاب تظهر منها المحتويات التى يتضمنها علاوة على المعلومات العادية مثل اسم الكتاب واسم مؤلفه وناشره ومكان النشر وعدد الصفحات واللوحات وطول الكتاب ورقم التبويب ان كان عدديا واسم الموضوع ان كان يتتبع نظاما خاصا من الأنظمة المعروفة لرؤوس الموضوعات الخ . ويمكن لأية مكتبة ان تطلب هذه البطاقات لتستعين بها فى إعداد فهارسها على أتم وجه وأحدثه فتستطيع المكتبة الصغيرة ان تستعين بخبرة مكتبة الكونجرس فى فهرسة هذه الكتب وتبويبها، كما تستطيع ان تضيف إلى هذه البطاقات ما يلائمها من ارقام التبويب الذى تستخدمه . وبهذا توفر المكتبة الصغيرة على نفسها جهوداً وتسهل للباحث فى فهارسها مهمته بايجاد بطاقات مطبوعة مشتملة على كافة المعلومات وتعتبر هذه العمليات ذات تكاليف لانها تحتاج إلى إخصائى يبذل فيها الجهد حتى تؤدى على الوجه الأكمل .

وقد اقترحت على دار الكتب إيجاد مثل هذا النظام وتعميمه لايجاد فهارس مستوفاة الشروط وسهلة الاستخدام فى يد القارىء فى أية مكتبة إقليمية صغيرة . وذلك الاقتراح تضمنه التقرير الذى سبقت اليه .

وتوفر مكتبة الكونجرس خدمات خاصة للعميان وتسجيلات صوتية للاعمال الأدبية الكبرى وغير هذه الخدمات .

وهناك مكتبات الولايات او المقاطعات او الاقاليم وتعتبر مكتبات مركزية بالنسبة لمكتبات الولاية او الاقليم. وتعتبر كذلك بمثابة مكتبة الدولة من مكتبات الولاية وتقوم بالخدمات المركزية. ولكن هذه المكتبات — نظراً لكونها تابعة للهيئات الاقليمية وتستمد أموالها من الضرائب الاقليمية — تتجاوز الحدود السابقة المناطة بمكتبات الدولة فى انها تشرف على تنظيم مكتبات الاقليم وتنظمها ومن ذلك انها تؤدى خدمات مباشرة فى اقليمها.

فهى تشجع بالمال والخبرة على تحسين حالة مكتبات الاقليم والعمل على انشاء مكتبات جديدة وذلك عن طريق حفز الأهالى وترغيبهم فى الاستعداد بالمال والجهود لانشائها.

وهى تقترح القوانين والتشريعات التى تسترشد بها الحكومات الاقليمية فى سياستها إزاء المكتبات الصغيرة .

وتنظم توزيع الاعانات على مكتبات الاقليم .

كما تنظم معاهد ودراسات لتخريج من يعملون فى المكتبات بحيث يكونون فى مستوى لائق من الثقافة والمران .

وتعمل على تنظيم علاقات المكتبات بالمدارس ومكتباتها والأندية ومختلف المؤسسات .

هذا كله علاوة على امداد المكتبات الصغيرة بقوائم عن الكتب المختارة فى كل موسم وتنظيم العلاقات بين المكتبات

المختلفة بحيث يسهل تبادل الاستعارة فيما بين هذه المكتبات بعضها ببعض وفيما بينها وبين مكتبة الاقليم .

ومن واجبات مثل هذه المكتبات الرئيسية فى الاقاليم تشجيع القراءة والمكتبات الجوالة أو السيارة فى الريف .

والملاحظ على مثل هذه المكتبات الاقليمية فى الغرب انها تحتفظ بالمراجع التى تعتبر سجلا لقوانين الولاية وتاريخها وتقاليدها بحيث تفوق مكتبة الدولة فى هذه الموضوعات بالذات ولذا كان نظام تبادل الاستعارة القومى من الأهمية بمكان حتى يستطيع الباحث استعارة أى كتاب فى أية جهة كانت .

ومن الواجبات الهامة كذلك الاحتفاظ بفهرست مفصل عن ثروة كل مكتبة فى الاقليم ترسل منه نسخاً إلى كل مكتبة فيه لتسهيل معرفة هذه الثروة .

وتعتبر مثل هذه المكتبات مراكز للخدمات المكتبية والاشراف عليها بحيث يوجد فى ادارة التعليم والمدارس بكل ولاية قسم خاص للاشراف على مثل هذه الخدمات وكثيراً ما يكون مقره مكتبة الولاية نفسها .

أما مكتبة البلدة أو المدنية الخاصة فهى تلك التى انشأتها بنفسها والتى يتمثل فيها ما سبق شرحه فى فصل سابق وبدء هذا الفصل من نظامها وروحها بقيامها بالنشاط المباشر لخدمة الجماعة تحت اشراف المكتبات المركزيه وفروعها .

بقيت كلمة يجب أن تقال عن المكتبات التى ينفق عليها

من الأموال العامة فى مصر على أساس انه من الممكن توحيد وظائف مكتبات الدولة والمكتبات الاقليمية .

وتعتبر دار الكتب المركز المكتبى الرئيسى الذى هو بمثابة مكتبة الدولة . والواجب ان تعطى السلطة التى تمكنها من ان ترتفع إلى مستوى مكتبات الدولة فى الغرب، وأن تعطى الفرص لرسم سياستها وتنفيذها فى ضوء ما تجده لدى مكتبات الدولة فى الغرب . وبدون تفاصيل اقتراحات نريد ان تتمكن هذه الهيئة من القيام بما تستطيعه مكتبات الغرب من خدمة وطنها على خير وجه وعلى النحو الذى اجملته فى إيجاز .

فمثلا نريد ان تنظم قسما منها للاشراف على خدمات المكتبات الأقليمية وتنظيمها ورفع مستواها ، وتكون واجبات مثل هذا القسم الدعوة للتعريف بقيمة المكتبات وتشجيع الأهلين على انشائها بمالهم ، ومما لا شك فيه اننا ننشد إيجاد قسم آخر لتنظيم علاقة المكتبات بالمدارس والجامعات سواء أكان ذلك فى الدار نفسها أم فى فروعها التى نرجو أن تطرد فى نموها وزيادة عددها فى القريب العاجل على أساس سليم . وما قلته بصدد المعاهد العلمية أقول عن خدمات الأطفال وغيرها مما ذكر فى هذه هذه الفصول .

وتنظيم العلاقات فى التبادل أو فى عمل فهارس لمحتويات المكتبة نفسها والمكتبات المختلفة فى الجامعات والمصالح الفنية والشركات والجمعيات العلمية وغيرها من الأمور التى لا يحتاج

ذكرها إلى بيان وقد أخذت تتجه إلى هذه الغايات بالفعل .

هذا من ناحية المكتبات فى المدن والأقاليم إلى جانب مكتبات المدن والبلدان. أما القرى الصغيرة فأظن أن مشروعات وزارة الشؤون الاجتماعية التى تقوم بتحقيقها مصلحة الفلاح والتعاون من ايجاد مراكز اجتماعية فى أنحاء القرى كفيلة بتحقيق الخدمات المكتبية فى صميم الريف سواء أكان ذلك فى غرفة للمكتبة ملحقة بالمركز الاجتماعى نفسه أم بتوفير المكتبات السيارة التى تطوف فى قلب الريف النائى عن العمران والحضارة لتؤدى رسالتها .

والمكتبة التى تلحق بالمراكز الاجتماعية بسيطة تتلاءم مع عقلية البيئة وحالتها وخصائصها الاجتماعية والاقتصادية فهى مثلا تحتوى على عدد من الصحف التى قد يطالعها لهم المشرف على المكتبة فى أوقات معينة ليعرض عليهم المشاكل التى تمسهم وعدد من المجلات المصورة والكتب المصورة كذلك والأفلام السينمائيه عن الموضوعات الحيوية التى تفتح أمامهم مجال التفكير فى تحسين مستواهم أو حالتهم الصحية ، بل والتى تعطيهم حلولا عملية لزراعة محصول مربح أو تصور لهم ألوانا من الصناعات الريفية الخ.

والمكتبة فى مثل هذه المناطق تحتاج إلى خبرة خاصة بكيفية التعامل والتفاهم مع الريفيين وفهم بيئتهم وميولهم ونزعاتهم الاجتماعية ، كما تحتاج إلى خبرة بفنون تعليم الاميين وتعليم

البالغين إلى جانب فهم عمل المكتبة ووسائل حفز أهل الريف وتشويقهم للاستطلاع والتعلم والقراءة بمختلف الطرق، وتشكيل جماعات منهم للمساهمة فى ألوان النشاط الاخرى على نحو ما ذكر فى سياسة المكتبة وتعليم البالغين.

ومما يتصل بهذا الموضوع المكتبات السيارة أو الجوالة، وهى السيارات التى تحمل الافلام السينمائية والتسجيلات الصوتية ومجموعات الصور والمجلات والكتب الملائمة وتنتقل بها من مكان إلى آخر. وقد تحققت هذه المشروعات فى ولاية لم تكن تختلف حالة سكانها الاجتماعية والاقتصادية عن حالة سكان القرى فى مصر. فقد كانت الأميه والمرض والفقر مستفحلة. ومع ذلك نظم برنامج فى ولاية نيومكسكو فى الجنوب الغربى للولايات المتحدة.. وكانت إحدى السيدات الثريات قد تبرعت بمبلغ ضخم للبدء فى مشروعات الاصلاح التى تولتها جامعة نيومكسكو، وكانت وظيفة السيارات أن تدعو بواسطة الافلام والصور لمشروعات الاصلاح ومحو الامية وما اليها. وكانت بداية رائعة انتهت بنهاية غاية فى التوفيق والنجاح ففى شهور محيت الامية! وليست هذه مبالغة بل هو ما حدث فعلا وما سجله التاريخ. وما أظن أن هذا التاريخ ببعيد لان المشروع اتفق عليه قبل الحرب العالمية الاخيرة مباشرة ونفذ ونجح أثناء الحرب.

وقد سقت هذا كله مقدمة لسؤال كثيراً ما يجول فى الخاطر

إذا ما ذكرت مشروعات عن المكتبات فى الريف وهو : كيف يمكن أن نقيم مكتبات لأميين ؟

وعندى أن المكتبة السيارة لم تكن مكتبة بالمعنى الصحيح فى ولاية « نيومكسكو » ، بل كانت تستخدم الوسائل السمعية والبصرية audio visual aids أى التسجيلات الموسيقية والافلام والصور وغيرها وقد استطاعت ان تجمع العدد الغفير من الاميين الريفيين وفى هذه الاثناء وخـــلال هذه المشاهدة كانوا فى حالة تفتح نفسى تسمح لهم بأن يتلقوا الارشادات والنصائح المفيدة الداعية للاصلاح والتى توحى اليهم بالتعاون ضد الأمراض الاجتماعية التى تفتك بهم ومنها الأمية والجهل .

وهكذا نجد مشروعات المكتبة كانت الصوت السحرى الذى كان يدعو للاصلاح فى نيومكسكو ويجد آذانا صاغية .

أما أهمية المكتبة فى الريف فلا تقل أهمية عن محو الأمية نفسه ، إذ أن استطاعة المرء أن يتعلم كيف يقرأ ويكتب مرحلة من مراحل محو الأمية وليست هى كل شىء لأن الريفى سوف ينساها بل المشاهد الملحوظ انه ينساها بالفعل فلا بدمن مواصلة الاتصال بمركز للقراءة يغريه على ان يطلع على الدوام . وهذا لا يتحقق إلا بوجود المكتبة ، التى يجب أن تكون متصلة بمراكز الخدمات الأخرى المتصلة بمصالح الريفى المباشرة مما يضطره الى التردد على مركزها . ولذا وجب أن توجد

المكتبة الريفية إلى جانب سائر أقسام المراكز الاجتماعية من خدمات طبية إلى زراعية الى ارشاد اجتماعى وتعاونى الخ.

ويجب أن تنظم لمثل هذه المكتبات إدارة فنية رئيسية تكفل لها النجاح والثبات.

إن أهمية المكتبة فى القرى الأمية تتلخص فى أنها

١ - تساعد على تعليم الأميين كما تساعد على تذكيرهم الدائم بما تعلموه.

٢ - تكون مركزاً للدعاية للاصلاح الاجتماعى.

٣ - إذا شعر الريفيون بأن المكتبة تستطيع أن ترشدهم فى مشاكلهم الحيوية والاقتصادية فانهم ولا شك يقبلون عليها ويرغبون فى ارتيادها فتكون مركزاً لنشاطهم الاجتماعى.

٤ - ولهذا فلا بد أن تكون متصلة بنشاط الاصلاح الاجتماعى والارشاد الزراعى والتعاونى والصحى والتعليمى لتصبح مركزاً لعرض ألوان هذا النشاط المتباين.

٥ - إحياء التراث الريفى التاريخى للجهة والتنبيه إلى أهميته وإحياء التقاليد الصالحة واظهار مميزات المجتمع المباشر والاقليم الذى تتبعه.

المكتبة ودعائم الغد

« القدرة على اعتماد المرء على نفسه تتمثل فى القراءة التى تهبها المدرسة للطالب وهى على يقين من أنها هبة باقية مابقى فيه نفس يتردد »

كارتر الكسندر

« تتبوأ المكتبة الحديثة فى المدرسة مكان القيادة لتأدية خدمات وظيفية لتحقيق فلسفة التعليم ففى الحق انها اداة حيوية للطلبة والمعلمين ولسنا فى حاجة إلى التأكيد بأن المكتبة هى المركز الفعال لنشاط المدرسة »

إنجليش

إن مكتبات الدولة هى أضخم المكتبات وأغناها، ولكنها بالرغم من ذلك أحدث عهداً من مكتبات الجامعات لأن الأخيرة كانت دينية النشأة فكانت مراكز المعرفة وأداتها. وهكذا نجد أن أقدم المكتبات هى تلك التى تنتسب إلى الجامعات القديمة. فأقدم مكتبة فى ألمانيا هى مكتبة جامعة هيدلبرج التى أنشئت سنة ١٣٤٦. وفى انجلترا جامعة كمبردج التى أسست سنة ١٤٢٥ فى حين يرجع تاريخ مكتبة المتحف البريطانى إلى القرن الثامن عشر. وفى السويد نجد أن أقدم مكتبة هى مكتبة جامعة « ابسالا » إذ أنشئت سنة ١٤٧٧. وكان الحكام والملوك وأصحاب الجاه والنفوذ يشملون هذه المكتبات بعطفهم فما تم انشاؤها إلا على هذا النحو.

وإذا كنا نريد أن نعرف، فى لمحات، علاقة المكتبة بالتعليم وفلسفته الحديثة فيجب أن نذكر المدرسة وارتباط المكتبة بها. وتاريخ هذا الارتباط يرجع إلى بداية هذا القرن، أو قل إنه يرجع إلى العقد الأخير من القرن التاسع عشر على وجه الدقة وقد عنيت الحكومات وهيئات الاشراف على التعليم بتنظيمها كأداة فعالة لتحقيق فلسفة التعليم الحديث.

والتعليم الحديث غير التعليم القديم الذى كانت غايته التحفيظ والتقيد بمادة ومواضيع معينة إذا ما استوعبها الطالب نال إجازته وأصبح من المتعلمين. وأما التعليم اليوم فى بلاد الديموقراطية الغربية فيتجه إلى إعداد الفرد لتحقيق غاية اجتماعية

بحيث يستطيع أن يكون مواطنا منسجما مع الجماعة قادراً على أن يخدم نفسه ويخدم تلك الجماعة ، وذلك لا يتأتى إلا بأن يكون هـذا الفرد قويا جثمانيا وعقليا ونفسيا بحيث يستطيع أن يتحمل تبعات الحياة ، وأن تكون له مهنة أو عمل يتفق وطبيعته وميوله واتجاهاته وينتهى به هذا الوضـع إلى أن يصبح قادراً على نفع نفسه ونفع المجتمع الذى يعيش فيه ، وأن يكون جديراً من الناحية الأخلاقية والاجتماعية بتحمل تبعات الأسرة وإسعادها وأن يكون مواطنا صالحا .

وهكذا أخذ يتطور التعليم إلى مذهب التكامل بمعنى أن مواد الدراسة المتفرقة ما هى إلا محاولة لجمع المؤثرات المتبـادلة بين قدرة الانسان الجسمية والاقتصادية والاجتماعية وبين العالم الخارجى والمجتمع الذى ينتمى اليه . والغاية من مثل هذا المذهب ايجاد منهج تربوى كفيل باعداد فرد متكامل له باستقلاله وشخصيته وقدرته .

ويقول « تيـد » فى مقال نشر فى « نشرة اتحاد مكتبـات الجامعات الأمريكى » الجزء الخامس والعشرين ص ٤٠٠ « يلخص الغرض من التعليم الجامعى فى أنه عقلى فلسفى روحى معا غايته إعداد الشخصية الفردية والاجتماعيـة وتهيئتها للمهنـة والحياة الاجتماعيه . فالجامعة تبين الوسـيلة لتحقيق الذات عن طريق المساهمة فى الحياة الاجتماعية ولتقريب الغايات الديموقراطية بالمران على الحياة وتركيز الايمـان بها . أو بمعنى آخر يقال إن

هذا الغرض هو إشباع الميول ورفع التفكير وتنمية الحساسية في الشخص حتى تمتد إلى المجتمع ليندمج الانسان على هذا النحو في حياة الناس وفي الطبيعة ذاتها، ومعنى ذلك هو أننا لانستطيع إلا أن نساير طبائع الأشياء في تبادل المسؤوليات الانسانية وأن نهيء الوسائل العقلية والمثل الخلقي كيما تصبح الحياة الاجتماعية اسرع خطى في اتجاهات صالحة، وتصبح جميع المعاهد قادرة على المساهمة على نحو اكثر يقينا في الحياة الصالحة لكل فرد. واذا كان لنا أن نختصر القول في جملة واحدة فاننا نؤكد أن الغرض من الجامعة هو مساعدة العقل والروح في عزم ورغبة لكي تنتج في حرية وخصوبة».

وهكذا اتجه التعليم الحديث في نظرياته وفي بعض التجارب التي أجريت عن هذه الفلسفة في بعض المدارس الملحقة بكليات المعلمين مثل مدرسة «لنكلن هوراس مان» التابعة لكلية المعلمين بجامعة كولومبيا إلى عدم تحديد برنامج أو فرض مواضيع معينة لتدرس وإنما تتكيف البرامج حسب تطور المجتمع وحسب المشاكل التي تواجهها فالبيئة المباشرة هي أساس توجيه التعليم، ومن ثم كان اتصال المدرسة بالمجتمع أوثق مما نعهده عندنا.

فالمدرسة تدعو الآباء والأمهات والقائمين على الخدمات العامة في المجتمع لدراسة ما يواجهه من المشاكل وما يشغل بال الأفراد من مسائل العيش والحياة وعلى هذا الضوء تكون الخطوة الأولى في توجيه التعليم.

كما أن التعليم الحديث يحاول أن يجعل الطالب مسؤولا واعيا لمشاكل الحياة، وأن يتحمل هذه المسؤولية حراً مختاراً في حدود وعيه للمشاكل الجارية والمثل العليا الاجتماعية. ولذلك يتجه التعليم إلى تحميل الطالب مسؤوليات في المدرسة تشابه تلك التي يواجهها في الحياة في مجتمع ديموقراطي وذلك بوسائل مختلفة منها مجلس الطلبة المنتخب بواسطتهم لحل الكثير مما تعرض له المدرسة من مشاكل، ويكون أعضاء هيئة التدريس أفراداً في هذا المجلس تحت رئاسة الطالب المنتخب كما يكون تعويد الحرية والمسؤولية وغيرها من الفضائل الديموقراطية عن طرق أخرى في الحياة المدرسية.

وإذن فنحن أمام حقائق ثلاث تلخص لنا سياسة التعليم الحديث وروحه وفلسفته.

اولا: ليس هناك برنامج مرسوم وإنما هناك مسائل واحوال مختلفة وعليه فلا تتفق مع مثل هذه السياسة الكتب المقررة في كل مادة من مواد الدراسة وإنما هناك الصحف السيارة ومقالاتها الحية التي تعالج مشاكل اليوم، وهناك المقالات المختلفة في مختلف المجلات، والفصول المتنوعة في مختلف الكتب.

ثانيا: التكييف بالحياة الاجتماعية الموجودة ومشاكلها ومواجهة هذه المشاكل كما هي في الحياة متفرقة معقدة لا موحدة مبسطة كما هي في الكتاب الواحد المقرر.

ثالثا: تعويد المسؤولية وحمل تبعاتها في نفس الوقت الذي

يشعر فيه الطالب بالحرية . وإذن فان الطالب يجب أن يبحث بنفسه وأن يتعود هذا الاعتماد على النفس فى الرجوع إلى مصادر البحث وأن يختار هو الموضوع الذى يبحثه وأن يسأل عن مصادره إذا أرادعونا ونشد معرفة بمراجع اكثر مما يعرف ، واكثر من هذا أنه يتعود ارتياد المكتبة دائما ، ويتعود استخدام كتب المراجع والفهارس ، وهذه عادة من أهم ما يمكن أن يكتسبه من المدرسة . فالعاقل كما يقول « ماك كولفين » أحد أعلام المكتبات فى بريطانيا « ليس هو بالضرورة من يعلم وإنما العاقل حقا هو من يعرف أين يجد المعرفة »

وبناء عليه فان المكتبة المدرسية أو المكتبة فى الكلية ليست هى المخزن القديم المعروف لمجموعة الكتب وإنما هى مؤسسة وثيقة الصلة بروح التعليم الحديث الذى يتجه الى مجابهة الحياة بمشاكلها دون التقيد بموضوعات ميتة ، والذى يرمى الى أن يتحمل المتعلم مسؤولياته فيتعود الاعتماد على نفسه فى البحث والدراسة واختيار ما يلائمه . وهكذا تستعد المكتبة استعدادا خاصا بحيث تكون مركزاً لهذه التربية الحية بنشاطها الحافل .

وهكذا نجد المكتبة فى مركز النشاط المدرسى ببنائها وبابها الواسع المفتوح ومعارض الكتب المنسقة التى تتغير تبعا لتجديد النشاط المدرسى ، ومجموعات الكتب التى ترسلها إلى الطلبة فى معاملهم وأمكنة دراستهم وهى كذلك مكان المعارض والاعلان

عن نشاط المدرسة كما انها تستعد بمجموعات من كتب المراجع والفهارس عن المجلات والكتب والموضوعات علاوة على مجموعات الصور وفهارس قصاصات الجرائد والأطالس والأفلام والتسجيلات الصوتية والصور المعلقة علاوة الى جانب الكتب والمجلات.

« ليست المكتبة اليوم هى خزانة الكتب المنعزلة التى كانت فى الماضى حينما اعتبر القائم بها خازنا كل وظيفته توفير الهدوء فى المكان الذى توجد فيه مجموعة الكتب بأى ثمن ، وتقدر جهوده بعدد الكتب المستعارة ، وإنما تتبوأ المكتبة الحديثة هى مكانة القيادة لتأدية خدمات وظيفية لتحقيق فلسفة للتعليم . ففى الحق انها حيوية للطلبة والمعلمين . فلسنا فى حاجة إلى التأكيد بأن المكتبة هى المركز الفعال لنشاط المدرسة » (١)

« تعتبر الكتب وسيلة لتوسيع التجارب ووسائل لرقى التفكير اكثر مما هى مصادر للتحصيل . والمكتبة تعد وحدة وظيفية فى المدرسة والمجتمع أكثر مما هى مكان به مجموعة كتب فأدواتها التى تعتبر وسيلة للتعليم ليست هى الكتب والمجلات فحسب ، بل هناك وسائل جديدة لهذا التعليم مثل النشرات والخرائط ونماذج الكرات الارضية والصور والفانوس السحرى

---

1 - English: Principl's plilosophy, Phila Delta Kappa, p. 22

والأفلام السينمائية والتسجيلات الصوتية. واخصائى المكتبة الذى كان يعتبر منظما لها ومكلفا أولا وبالذات بادارتها من حيث المحافظة على ثروتها أصبح يعتبر عضواً فى هيئة التدريس مشرفا على ميول التلاميذ وسياسة المديرين، وأصبح معداً بمران وخبرة تكفلان له المشاركة الفعالة فى رسم سياسة التعليم وتنفيذها فيما يتعلق بالمدرسة والبيئة التى يعمل فيها» (١)

و «ليس اخصائى المكتبة موظفا إداريا مجرداً عن التفكير المستقل فى عمل المعهد الذى يعمل فى مكتبته، ولكنه شخص درس ومارس هذا الفن وأصبحت له واجباته المتميزة فى ميدان التعليم وأنيطت به مسؤوليات اجتماعية خطيرة» (٢)

وقد فصلت واجبات مكتبة المدرسة فى نشرة وزارة المعارف الأمريكية عن مكتبة المدرسة الثانوية وهذه الواجبات تتلخص فيما يلى :

١ - اخصاب المواد المدروسة بمعنى عدم الاقتصاد عليها وإنما امداد الطالب بمراجع أخرى.

٢ - خير وسيلة لتزجية وقت فراغ الطالب.

٣ - تمرين الطلبة والتلاميذ على استخدام الكتب والمطبوعات والبحث فى الفهارس والمراجع.

---

1 - Lyle: The Administion of College Library. p. 194
2 - Wristsn: College Librariaen, A. L. A. Bul. 29 : 178

٤ - الاعانة فى تسهيل برامج الارشاد التعليمى .

٥ - تكون المكتبة عادة مركزاً للنشاط المدرسى .

٦ - تمرين الطلبة على التعاون والخدمة فى أغراض نبيلة لأنها تستخدم بعض الطلاب بأجر ويعمل فيها آخرون متطوعين ، وتتألف من بينهم جماعة للمكتبة تمارس نشاطها كسائر أنواع جمعيات النشاط المدرسى فتنظم محاضرات أو برامج لنقد الكتب.

ولا تختلف روح العمل والسياسة فى المكتبات الجامعية عما هى عليه فى المدرسة إلا بان الأولى تبحث فى مواد اكثر تفصيلا وتعمقا وأنها لذلك اكثر اهتماما بخدمات المراجع والفهارس الخاصة فى الموضوعات الخاصة التى تدرس فى الجامعة ، كما أن الكتب فيها اكثر أمعانا ، وهكذا نجد أن مستوى العقليات يختلف ، ولكن روح الفلسفة التى تقوم عليها المكتبة واحدة من حيث هى أداة وظيفية فى التعليم ، كما تختلف الواجبات والأعمال فى الجامعة تبعا لاختلاف التفكير والسن بينها وبين المدرسة حيث يكون الارشاد فى الأخيرة اكثر بينما تكون أبحاث المراجع فى الجامعة أدق وأهم.

بقيت كلمة عن المكتبات بالنسبة للتعليم العملى والفنى . ونترك الكلام عنها لما ذكره اتحاد المكتبات الأمريكى فى نشرة مستقلة نشرت بعنوان «لماذا يحتاج المران المهنى الى الكتب» .

«الكتب هى وسائل للصناعات . فنشرات المختصرات التى تلخص محتويات كل ما نشر فى الموضوعات المختلفة هى مصدر

المعرفة عن أحدث تطورات الصناعة والفنون العملية .

والكتب المعتمدة فى موضوع معين تتحدد قيمتها فى إيجاد معرفة أوسع فى الموضوع وتصف الوسائل والآلات وتشرح وتعلل .

والنشرات فائدتها من الأهمية بمكان فى معرفة آخر التطورات، كما أن مختصرات الصناعة تشرح الأدوات الخاصة وتركيبها وتوضيح ذلك بالصور والوصف والمواد التى تستخدم فى الصناعة وأثمانها.

ومن يريد ان يمضى قدما فى مرانه وكفاياته فيجب ان يتعلم كيف يستفيد من الكتب ليكون اكثر انتاجا واطلاعا .

والنشرات والمطبوعات تساعد من يطلب الالتحاق بعمل تبين الشروط والخبرة وواجبات العمل الشاغر وتقديم الطلبات ووسائلها، كما انها تسجل اتساع مجال الأعمال وتطورات الصناعة . ومن ثم يجب الا يستغنى عنها فى المعامل والفصول او حتى فى المنازل »

فهل تقدر المكتبات فى مصر قيمة النشرات والاعلانات والجرائد والمختصرات والمراجع وهى التى تعد تافهة فى نظرها ؟ ومع ذلك فهى من أهم وسائل المعرفة المهنية فى نظر اتحاد المكتبات الأمريكى الذى يؤكد قيمتها فى معرض حديثه عن الدفاع الوطنى إبان الحرب فى نفس النشرة السابقة الذكر إذ جاء فيها «يجب أن تسعى الكتب والمكتبات والمدارس والمدرسون والمعامل للدفاع الوطنى ونعنى بالكتب النشرات والمجلات وقوائم التجارة ودليل البيوت التجارية وبيانات الصناعات إلى جانب الكتب الضخمة».

الصمت غير مسموح

« يا فتية الأرض ويا صبية العالم اتحدوا !
لقد غمطنا الكبار حقنا وثاروا على سلوكنا وحريتنا .
لقد سخروا من تحررنا من تقاليدهم اذ رأونا نخطر منطلقين
فى الارض بأزيائنا الزاهية !
يا فتيان ويا صبيان
اننا نبغى التحرر فى الرأى وننشد عالما مستقلا بتفكيرنا
بالرغم من الكبار الذين يدعون فهمنا وبالرغم من إدعاء
بعضهم انه يكتب محاطبا عقولنا ! »
افتتاحية محرر مجلة نقد كتب الصبيان التى تصدر عن مكتبة
ناتان شتراوس بنيويورك

« إذا كنا نريد ان نهب الطفل هبة واحدة فلن نتردد فى
ان نغرس فيه حب الكتب » و . ف . بيجلو

« الرجا مراعاة الهدوء والسكينة »

هذه لافتة تجدها فى اكثر المكتبات وهى موجهة إلى جميع الرواد دون تمييز بين الرجل والصبى والطفل .

واذا تذكرنا أن الصبى والطفل لا يرغبان فى الهدوء والسكينة عرفنا أن معنى اللافتة إما وضع السدود والقيود حيال طبيعة الصغار ، وإما عدم فهم لطبيعة هذين المخلوقين الذين كنا جميعا مثلهما وكلا الأمرين مما ينفر فى المكتبة.

ومما لا شك فيه أن للطفل والصبى حقوقا قبل مجتمعهم لا تقل عن حقوق الكبار قبل هذا المجتمع . ومما لا شك فيه أيضا أن نفسيات الأطفال والصبيان والمراهقين والبالغين تختلف فى الميول والرغبات والتفكير والسلوك وسائر ألوان الحياة النفسية التى تميز كل فريق عن غيره . ولهذا كان وجود مثل هذه اللافتة فى المكتبات العامة أو فى مكتبات المدرسة أمراً لا يتفق وطبيعة الأحداث . فهو فرض من قبل هؤلاء على من دونهم ممن يختلفون عنهم نفسيا وفكريا بما لا يتفق وفهم هذه الحياة النفسية والفكرية فيترتب عليه العصيان فالنهر فالزجر . وهو ما لا يتفق وأصول الكرامة الاجتماعية التى تتضمنها التربية الحديثة أو ماينتج عليه الكبت فالعقد النفسية فالحياة المعقدة الملتوية التى لا تؤدى إلى ايجاد تخلق اجتماعى سليم وهو ماينافى ابسط قواعد التربية كذلك .

وقد وضحت لنا أهمية الخدمات المكتبية فى حياة الأفراد

والجماعات .

وإذن فمن الظلم الصارخ ألا تهيأ مثل هذه الخدمات للاطفال والأحداث والصبية والمراهقين . وقد كان من شأن البلاد التى تقدر للفرد قيمته والتى يشرف الآباء والامهات فيها على سياسة المكتبة فى البيئة المباشرة كالبلدة الصغيرة أو الحى أو ما إلى ذلك أن تنبهت هذه الأمم إلى أهمية الخدمات المكتبية للأطفال وكانت امريكا فى مقدمتها إذ بدأت فى اواخر القرن الماضى وسارت فى سياستها قدما حتى انتهت الى ان تكون ارقى الامم فى الاستعداد لهذه الخدمات بما لها من ثروة وبما لنسائها من نفوذ فى ميدان المكتبات وبما استطاعه قانون تخصيص العمل وتقسيمه من ايجاد من يتفرغون لهذه المهام ويجيدونها .

ومن الشائع فى الشرق أن من شاب على شىء شاب عليه ، وأن التعلم فى الصغر كالنقش على الحجر ، ولذا كان تعويد التجاء الطفل والصبى إلى المكتبة فى وقت الفراغ وتعوده الاطلاع شيئا فشيئا حسب مداركه من أهم ما لهؤلاء الصغار فى عنق المجتمع من حقوق . حتى ليقول « بيجل » « إذا كنا نريد أن نهب الطفل هبة واحدة فلن نتردد فى أن نهبه حسب الكتب » . وقد سبق أن ذكرت وظيفة المكتبة فى التربية فى حديثى عن مكتبات الجامعة والمدرسة ، وهو يطبق إلى حد بعيد فى خدمات الأطفال والصبيان والمراهقين فى المكتبة العامة ، إذ أن مكتبة المدرسة مهما كانت حرة فهى مقيدة بقيود الدرس والتحصيل

والالتزامات المدرسية . ولذا كان من الضرورى أن تعطى هذه الطائفة من الصغار حقوقهم فى المكتبة الشعبية أو مدرسة الحياة أو جامعة المواطنين .

لقد زرت كثيراً من تلك المكتبات الصغيرة المترامية كالمصابيح فى أحياء الولايات المتحدة فكنت إذا ما اجتزت الباب أرى نفسى فى ردهة كبيرة هى المكتبة حيث أجد إلى يمينى قسم الكبار وإلى يسارى قسم الصغار أو العكس ، وبين القسمين فراغ فيه معارض الكتب الجديدة . وليس المقصود بالتقسيم أن يكون بحواجز من البناء وتخصيص حجرات مغلقة وإنما التقسيم فى المكتبة تقسيم وظيفى رغم وحدة البناء . وهكذا نجد القسم الخاص بالأطفال عبارة عن ركن أنيق بسيط فيه معارض زجاجية لكتب الأطفال القيمة ومجموعات من الكتب الخاصة بهم فى أرففها الكثيرة بحيث تكون فى متناول يد الطفل . وقد علقت على الحائط لوحات وصور أنيقة . ولا تعدم أن تجد معارض لرسوم الاطفال أنفسهم وطافة من الزهر الأنيق ، تجد كل هذا وتجد ابتسامة ويداً رقيقة ترشد الطفل وتستقبله بحيث يتلاءم هذا ويتسق مع كل ما فى هذا الركن الذى يدعو كل شىء فيه الطفل ويسحره ويخلب لبه إذ يجد فيه عالمه السحرى الذى يتفق مع خيالاته العذبة . وكأن هذه الكتب والقصص والرسوم التى تبدو كذلك امامنا ليست شيئا آخر غير مصباح علاء الدين السحرى او كهف توم سوير المسحور بما فيه

من ملائكة ومروج وعرائس وجنيات، وكل ما تستطيع تهاويل الاحلام ان تطرز به الخيال فى نظر الصغار.

وعلة فصل الصغار عن الكبار انهم لحنان غير منسجمين. فلكل من الفريقين نواحى اهتمامه الخاص تبعا للتفاوت البالغ بين كل من العقليتين . فالصغير يجد نفسه مقيداً إلى جوار الكبير الذى يحصى عليه حركاته وسكناته . والكبير يجد ضيقا وغضاضة فى ان يكون مصدر ثقافته وثقافة الطفل واحداً . ولما كان يتسبب عن الجمع بينهم القيود النفسية والعوائق الذهنية مما لا يتحقق معها مبدأ تهيئة الجو المناسب لكل فريق بما فيه من انطلاق مع الطبع الذى تتوفر فيه كان من الضرورى أن تستقل خدمات الصغار وأن تكون لها خصائص معينة تتلاءم وعقلية الأحداث. وهكذا نجد التخصص فى مكتبات الأطفال فرعا من فروع التخصص فى فن المكتبات.

ولنفس هذه الأسباب النفسية ميزوا بين الأطفال من السابعة إلى الثانية عشرة والصبيان والمراهقين وهم ما بين الثالثة عشرة والعشرين . فان الصبيان والمراهقين لا يرغبون فى الاختلاط مع من يسمون اطفالا إذ يشعرون بشىء من الخزى فى أن ينتسبوا إلى زمرة الصغار. ولذا أفردت لهم أماكن خاصة غير امكنة الأطفال وكتب اخرى غير كتب الصغار . وذلك كله لازالة كل عائق نفسى يحول بين الأفراد من مختلف الاعمار وبين المكتبة .

فللاطفال أو الصبيان كتب خاصة لها خصائصها فى الطباعة والورق والتجليد والرسوم التى تعتبر من أهم العوامل فى توضيح موضوعات كتبهم. وكما تختلف تبعا للسن والجنس. ويتميز كل شىء فى هذه الكتب سواء فى المادة أو الموضوع أو الشكل تبعا لعاملى السن الجنس. وقد لوحظ فى القصص مثلا أن الذكور من الأطفال فى سن معينة لا يستسيغون قصص العرائس التى تحبها الأناث وإنما يميلون إلى ألوان أخرى من قصص البطولة فى حين أن الأناث تستسيغ جميع القصص وبعد هذه المرحلة يميل الذكور الى قصص الرياضة والرحلات والأبطال، وهكذا يخرجون من دور الطفولة إلى الصبا متميزين فى كل شىء عن تمايز النفسية مما يحتاج إلى عناية المشرفين ودراستهم.

وتؤلف المكتبة جماعات من الأطفال مختلفة فى أنواع النشاط، فمنهم جماعة من المراهقين لنقد الكتب. ومنهم جماعة برامج الموسيقى. وقد شاهدت فى مكتبة أطفال - ناتان شتراوس (وهى احدى فروع مكتبة نيويورك العامة البالغة فروعها حوالى الستين) فريقا من الأطفال يساهمون فى برنامج الموسيقى بأن يحضر كل منهم تسجيلا صوتيا ممتازاً من عنده ليستمع اليه مع رفاقه فى المكتبة العامة، ومن ضمن هذا النشاط برامج القصص التى تلقيها أخصائية المكتبة أو برامج المحاضرات ويلقيها الاخصائيون فى أحاديث الأطفال. فنحن حيال فن من الفنون الرائعة التى تحتاج إلى تخصيص فى شؤون الأطفال المكتبية والثقافية والتربوية.

ولما كانت المكتبة العامة تفترض - بالرغم من تسهيل جميع وسائل الاغراء - أن من الصعب على الطفل أن يقصدها من تلقاء نفسه فانها تزحف اليه فى مدرسته فتلقى اخصائية مكتبة الأطفال حديثا فيها عن أى موضوع وتعير الطلبة مجموعة من الكتب التى اصطحبتها معها من المكتبة عن موضوع الحديث الذى ألفته وتطلب اليهم إعادتها إلى المكتبة. ولما كان من الضرورى أن يعيدها الطفل كان من الضرورى أيضا أن يلج باب المكتبة مرة على الأقل. وقد تدعو المكتبة بواسطة الصحف أو الراديو أو النشرات المطبوعة عن برامجها ومعارضها ومحاضراتها والأفلام التى تعرضها كيما تغرى الأطفال على ارتيادها.

وحدث حين كانت تعرض إحدى مشكلات الهند على الأمم المتحدة أن انتهزت مديرة قسم خدمات الأطفال بمكتبة نيويورك العامة المناسبة ودعت مندوبة الهند فى هيئة الأمم للتحدث الى الأطفال. ولكن اخصائية المكتبة رأت أن الحديث وحده قد لا يرضى الأطفال الذين يستهويهم أثر أقرب إلى نفوسهم من الأحاديث فواتتها فكرة إقامة معرض من رسوم الأطفال الهنود واتصلت بالمندوبة بهذا الصدد، وكانت الجهات الهندية المسؤولة فى نيويورك لديها مجموعة من هذه الرسوم كدعاية، وسرعان ما أرسلت إلى المكتبة وأعلن عن المعرض وعن حديث مندوبة الهند فى هيئة الأمم وكان موضوع الحديث «الأطفال فى الهند».

واستمع اليه آلاف مؤلفة من الأطفال وذويهم، والتف

الأطفال حول السيدة الجليلة يسألونها عن زيها وعن المرأة الهندية وأحوال الهند ويسألون عن الطفل الهندى بوجه خاص .

وفى الواقع أن تلك المحاضرة دعاية للهند لم تقصد اليها مكتبة نيويورك . ولكن هذا لا يهم ما دام الاطفال قد أتوا زرافات ووحدانا يقصدون المكتبة ليألفوا نشاطها وخدماتها فيما بعد وما داموا قد استفادوا من الحديث ، ولم يكن هذا فحسب ، بل كان درسا من المكتبة للناس عما تستطيع تلك المؤسسات أن تؤديه من أجل خدمة السلام الدولى وتوطيد دعائم المجتمع الانسانى والعلاقات الانسانية ، وهو درس رائع لان كل مايتعلق بالاطفال إنما يمس شغاف القلوب فى كل مكان .

ومهما يكن الامر فهذه الخدمات تحتاج إلى استعداد خاص من جانب إخصائيات مكتبات الاطفال . وأقول إخصائيات ، لان أغلب القائمين بهذه الخدمات من النساء . بل قل إن ما يقرب من تسعين فى المائة فى المكتبات منهن . وفى مجال الخدمات المتعلقة بالاطفال ترتفع هذه النسبة . وقد اصبحت هذه الخدمات من المهن التى تحتاج الى تخصص وتفرغ وحكمة وسياسة لان معنى التعامل مع الاطفال ليس الا التعامل بين عقليتين مختلفتين تماما . فلا بد ان تعى الاخصائية هذه الحقائق بدراستها وتجاربها فى عملها كاستقبال الصغار والتعامل معهم ، ومحاولة فهم ميولهم والموانع التى تحول بينهم وبين القراءة ، ان وجدت ، كما تبدو كذلك فى مشكلة اختيار الكتب لهم . ونحن نؤكد أهمية التبصر بهذه

الحقائق لأن أغلب الناس حتى من بلغ منهم أرقى درجات العلم ينسون الحياة النفسية التى كانوا يحيونها فى طفولتهم وهى التى تخالف تماما عقليتهم حين اجتازوا مراحل الطفولة . وقد عجب « رسكن » لهذا الفهم من الكبار الذين لا يتذكرون ما كان لهم فى ظل طفولتهم من ثراء الخيال وخصوبة الاحلام .

والواقع ان هناك عدم انسجام بين كل من العقليتين كما قلت. وقد سألت مكتبة - ناتان شتراوس - السابقة الذكر الصبيان الذين زاروها عن سبب حبهم أو بغضهم للمكتبة فقال البعض أنه لا يحبها لأنها لا تتضمن برامج للرقص ، وشكا آخرون لانهم لم يجدوا كتبا عن النسبية . أما اغلب الاجابات فكانت تنم عن اعجاب بالمكتبة لانها مبتكرة جذابة ما دامت مستقلة نهائيا ومخصصة كلها لهم بحيث يحس كل أنه فى بيته، كما أنه يستطيع أن يجد أى كتاب يطلب ، وأقر جميع الصبيان ان أبعث ما فى المكتبة على الارتياح انه ليس بها كبار على الاطلاق .

وهيبة الصغار من الكبار يجب ان تتغلب عليها اخصائية المكتبة فى خدمة الاطفال والصبيان وان تحرص على صداقتهم وحدث فى إحدى مكتبات الاطفال فى كالفورنيا أن ذهب صبى فى الحادية عشر الى المكتبة لمشاهدة فيلم أعدت عنه ورأى أنه قد صار وحيداً بعد انتهاء الفيلم اذ تفرق اصدقاؤه فى انحاء المكان يقبلون فيما يعجبهم من الكتب وما كان هذا الصبى بقارىء ولا يحب للقراءة إذ كانت كل ميوله منحصرة فى كرة القدم .

واقيته على هذا الحال سيدة أخذت تجاذبه أطراف الحديث ففهمت انه لا يقرأ ولا يحب القراءة وكان حديثها شيقا يفيض عطفا ووداً وارتاح لها وصار يتردد على المكتبة ليحدثها عن مشاكله فى فترات الراحة. وكان يشكو لها تصرفات صديقته فى المدرسة وأخذ يتردد عليها عدة مرات لعلها ثلاث أو لعلها أربع حتى كانت مناسبة شائقة اقترحت فيها عليه أن يقرأ كتابا نشر حديثا وورد للمكتبة عن كرة القدم التى يحبها ولم يستطع لهذا الاغراء دفعا وإنما أحس ان هذا أمر طبيعى فاخذ الكتاب وأعجب به فقرأه وأراد ان يقرأ غيره عن ألوان الرياضة الأخرى ثم تدرجت ميوله إلى موضوعات أكثر جدية حتى صار قارئا ممتازاً.

وتصدر مكتبة - ناتان شتراوس ايضا - مجلة عن نقد الكتب هيئة تحريرها من الصبيان المحبين للقراءة، وهذه المجلة تمثل عالما مستقلا متميزاً من التفكير والسلوك والرأى لطائفة من المواطنين الصغار، وفى زياراتى للمكتبة السابقة الذكر أهدتنى المكتبة عدداً من هذه المجلة يقول محررها الصبى فى افتتاحيتها «اتحدوا يا فتية الأمم ووحدوا صفوفكم صبيان العالم! لقد غمطكم الكبار حقكم فسخطوا على عاداتكم وحريتكم وسخروا من تحرركم من تقاليد جيلكم العتيق إذ يرونكم تخطرون فى الأرض مرحا منطلقين بزيكم الزاهى الذى لا يناسب ذوق الكبار السقيم ... يا فتيان.. اننا نريد أن نتحرر فى آرائنا وأن نحيا فى عالمنا الخاص رغم عالم الكبار الذين لا يفهموننا وإن ادعوا ذلك. ولو ادعى

بعض الكتاب من هؤلاء الكبار انه يكتب لنا ويخاطب عقولنا.

وهكذا تفسح المكتبة الديمقراطية مجال الحرية واستكمال عناصر الشخصية المستقلة لكل فرد. وهكذا يتعلمون فى المكتبة الشعبية كيف يكونون أحراراً. وإذا كانت المدرسة تطبع التلاميذ بطابعها المدرسى فان المكتبة الشعبية تدعم هذا الأساس العام على أساس حق الحرية والاستقلال.

ولكنها ليست حرية إلى غير حد وإنما هى حرية مقيدة بحيث لا يشعر الفرد بقيودها. نعم هى حرية مقيدة بتعاليم المجتمع ومثله العليا التى تترسمها الشبيبة فى المجتمع اليقظ.

ومعنى هذا كله هو أن التعليم العام فى المدرسة يوجد المنهج ويوجد نظاما واحداً واساسا من الشعور الاجتماعى مشتركا بين أبناء المجتمع الواحد وبين المواطنين تدعيما للشعور بهذه القومية الاجتماعية ومثلها الديمقراطية. وهكذا توجد هذه المشاركة قوية متينة لصالح أبناء المجتمع والتعاطف الاجتماعى والمصالح المشتركة والايمان بالمثل العليا الواحدة.

والمعنى الآخر لهذه السياسة هو محاولة إيجاد الفردية والشخصية ومميزاتها المنتجة المبدعة مما لا يتحقق إلا بالحرية. ولعل هذا هو مكان المكتبة العامة الشعبية الحرة حين تلتقى بالمدرسة المقيدة التى تطبع الأفراد بطابع عام ما دام هناك تعليما عاما.

وفى الحق انه من الخطأ أن ننسب العمومية وتدعيم القومية من ناحية والفردية والحرية والشخصية من ناحية أخرى لواحدة

من المؤسستين دون الأخرى . بل الواقع أن المدرسة الحديثة والمكتبة الحديثة يتعاونان متضامنين فى تحقيق القومية والفردية اى الروح الاجتماعية والشخصية وجمعهما هو خلاصة فلسفة الحياة الاجتماعية فى القرن العشرين .

هناك حرية وفردية من ناحية ، وهناك الأثر القوى للمكتبات فى ايجاد التجانس بين عناصر غير متجانسة . ويقول المكتبي الاسكنديناڤى «مانت» فى كتابه «المكتبات الأمريكية من وجهة نظر أوربية» « إننى أعزو هذا النشاط البالغ للمكتبات فى الولايات المتحدة اولا وبالذات إلى الجهود الجبارة التى تبذل لايجاد تجانس بين جماعات وافراد غير متجانسين عن طريق الكتاب الذى هو دعامة الثقافة »

المعرفة من الحكيم القديم إلى المواطن الحديث

«الرجل الحكيم ليس هو بالضرورة من يعرف، ولكنه هو الذى يعرف أين يجد ما يحتاج إلى معرفته»

ماك كولفين

عرفت زميلا كان لا يضيع وقته هباء وإنما كان دؤوباً على التحصيل ، ولما لم يكن له اتجاهاً معين ، فقد أكب على دائرة المعارف البريطانية يقرأ أجزاءها الأربعة والعشرين وما يحتوى عليه كل جزء منها ، يقرب من ألف صفحة على أقل تقدير .

ولا شك أن هذا جهد مشكور ، ولكنى ما أحسب أن دوائر المعارف وما يشبهها من الكتب الضخمة قصد بها أن تقرأ بحذافيرها ، وإنما وضعت لغرض آخر ، ليس هو مجرد تحصيل العلم والمعرفة على هذا النحو ، ومثل ما فهم ذلك الزميل إنما يدل على تفكير لا يتلاءم مع هذا العصر الذى نعيش فيه ، وهو عصر لا تتفق روحه وهذا الجهد الضائع فى شتيت الموضوعات ومتباين ألوان المعرفة . فاذا كان ينشد العلم ، فما هو ببالغ من هذا الجهد المبذول شيئاً .

ومع أن الشباب اليونانى فى التاريخ القديم كان يستوعب ما يشبه دائرة المعارف ، ومع أن بعض افذاذ الحكماء مثل أرسطو وابن سينا وبيكون استطاعوا أن يلموا بشتات المعارف فى عصورهم لما لهم من مواهب فذة ، وكما كان العلم محدود الأفق فى تلك العصور ، فأظن أننا لا يمكن أن نجاريهم نظراً لفيض المعارف الزاخر الذى يخرج فى مئات الكتب والنشرات والمجلات كل يوم .

أننا لا نستطيع أن نحصل المعرفة كيما اتفق لمجرد احتمال حاجتنا إلى جزء يسير منها فى حياتنا وخير من ذلك أن نوفر

الجهد وأن نلم بهذه الكتب العامة التى تستطيع أن ترشدنا إلى ما نريد حين نريد لأننا بذلك نتعلم منهجاً ضروريا نافعاً لا غنى عنه فى عصرنا المعقد الفياض بالعلم وتطوراته وما يكشفه ويذيعه ويسجله عن الطبيعة والانسان.

لم يعد العصر الحديث عصر الحكماء الذين يلمون بكل وإنما هو عصر المواطنين الذين يعملون ويكدحون ويحتاجون فى حياتهم إلى مرشد يرشدهم.

ماذا يعنى رجل الأعمال الذى سئل عن سر نجاحه بالرغم من عدم إتمام تعليمه الجامعى فأجاب بأن أعظم عون له هو أنه عرف أين يجد ما يريد حين يريد؟

وهكذا نعرف أن معرفتنا لطريقه الاستعلام ربما كانت خيراً من معرفة مواداً نحفظها ونحشو بها أدمغتنا لننساها بعد ذلك.

ومن الواجب أن نتعلم السبيل إلى استخراج من ما نحتاجه من فيض المعارف الزاخر وتطورات العلم والانسان سواء أكان ذلك فى المكتبة العامة أو فى المدرسة.

فالمكتبة فى المدرسة وخارجها لا تقصر خدماتها على إعارة الكتب وتيسير المطالعة وإنما تقوم بخدمات المراجع والاستعلام التى ليست شيئا آخر غير استخدام الكتب العامة التى يحتاجها المرء للاطلاع على جزء ضئيل مما فيها لا ليقرؤها كلها فى وقت واحد مثل دوائر المعارف والمعاجم والقواميس والأطالس ودلائل المدن والتقاويم السنوية الاخبارية وفهارس المكتبات

وفهارس المجلات .

وقد تكون هذه المراجع خاصة بموضوعات مثل دائرة معارف فى الطبيعة أو قاموس فى التاريخ الطبيعى أو فهرس للمقالات الأدبية التى نشرت فى فترة معينة وهكذا .

دوائر المعارف

وإذا كان لنا أن نختار مثلا من هذه الكتب العامة فاننا نختار دوائر المعارف لنشير إلى بعض ما يتعلق بها ككتب مراجع من الطراز الأول ، ولأنها هى والقواميس أقدم نوع عرف فى التاريخ من كتب المراجع .

وكلمة «دائرة معارف» باللغات الأوربية مأخوذة عن كلمتين فى اللغة اليونانية القديمة معناهما « التعليم الكامل » مما يتفق مع ما كان لدائرة المعارف من قيمة فى التعليم عند اليونان ، كما أن كلمة قاموس كثيراً ما تستخدم بمعنى «موسوعة أو دائرة معارف» مثل قواميس التراجم الشهيرة فى أوربا وأمريكا وقاموس «جروفز» فى الموسيقى وقاموس « ثوروب » فى الكيمياء التطبيقية الخ . وعلى هذا النحو نجد أن تعريف الموسوعة بالانجليزية مماثل لتعريف القاموس ، لأنها ليست غير « كتاب يعطى معلومات عن فروع المعرفة المختلفة ، أو عن موضوع بالذات ، ومرتبة ترتيبا أبجديا » بل إن القواميس قبل أن تتطور هذا التطور الحديث الذى نراه ، كانت سجلا للاقتباسات من مؤلفات هو ديروس وغيره من المؤلفين اليونان أو الرومان ، كما كانت تحوى معلومات

متباينة على نحو ما نشاهد فى دوائر المعارف الحديثة ، وعلى نحو مانشاهد فى المعاجم العربية .

وليست دوائر المعارف فى موضوعاتها على الأقل بغريبة عن المؤلف العربى ، فقد عرفت المصنفات المتنوعة فى مختلف العلوم ، غير أن الفهرسة والتبويب والعناية بتقسيم المادة تحت عناوين متميزة وما إلى ذلك من وسائل التنظيم الفنى لفهرسة الموضوعات لم تكن معروفة بل ولا زالت أصولها الفنية مجهولة حتى اليوم ، فى الشرق .

ولعل أول من وضع أساس دائرة المعارف الحديثة فى نظامها وتبويبها الذى نراه اليوم هو « أفرايم تشامبرز » الذى اصطنع الترتيب الأبجدى على أساس نافع ، فحل مشكلة من أهم المشاكل فى منهج البحث فى دوائر المعارف وغيرها ، فما كادت تظهر موسوعة تشامبرز فى جزءيها عام سنة ١٧٢٨ حتى ترجمت إلى كثير من اللغات الأوربية ، واتخذت مثلا يحتذى لموسوعات أخرى فتأثرت بها مثلا دائرة معارف « ديدور ودالمبرت » المعروفة لقراء الأدب الفرنسى فى تاريخ الحركات الفكرية لعصر « روسو » وعصر الثورة الفرنسية بوجه عام ، وقد كانت ترمى إلى التمهيد الفكرى للثورة ، كما كانت تنشد إرتقاء التعليم فى عصرها .

ومن المعروف أن دوائر المعارف أو الموسوعات تحتوى معارف متنوعة فى موضوعات متباينة ، محاولة بذلك أن ترشد بقدر الامكان فى كل فن وبحث ، وهى مرتبة ترتيبا أبجديا بعناوين

الموضوعات التى يراد البحث عنها . وقد يبدو أن إيجاد العناوين على هذا النحو أمراً سهلا يسيرا .

ولنفرض أننى أردت البحث عن معلومات عن « الغزالى » مثلا فى دائرة معارف أوربية عامة وليست خاصة بموضوع فلسفى ، وقلبت الصفحات حتى مكان الترتيب الأبجدى لكلمة غزالى ، ولم أجد ما أريد، فهل أجزم بناء على ذلك بأن الموسوعة خالية من مبحث عن الغزالى ؟ وربما وجدت كلمة الغزالى فى ترتيبها الأبجدى فأجد إشارة كالآتى : الغزالى ، أنظر الفلسفة الاسلامية او انظر مادة إسلام .

واذا كان هناك فهرس ملحق بالموسوعة نظرت فيه فربما كانت المعلومات الخاصة بالغزالى فى موضوع آخر أكثر عمومية.

ونخلص من ذلك إلى أنه ليست كل كلمة تخطر ببالى من الضرورى أن تورد فى دائرة المعارف كما تصورتها ، فقد تكون واردة تحت عنوان آخر ، فيجب أن أبحث قبل أن أجزم بعدم تعرض الموسوعة للموضوع. وفى الوقت نفسه يجب أن أتصور اكثر من مرادف لموضوع البحث .

وعلى هذا النحو كان اصطناع العناوين المتعددة بقدر الامكان ، وجعل المقالات قصيرة من مميزات دوائر المعارف الأمريكية التى تضع عناوين متعددة ، حتى لا تتضمن المقالات الكبيرة الكثير من الموضوعات الصغيرة .

وتعتبر الموسوعة البريطانية من أهم المراجع فى باب الموسوعات

وقد طبعت للان أربعة عشر طبعة ، وكانت أولى طبعاتها عام سنة ١٧٦٨ فى ثلاثة اجزاء ، وظلت تنمو بنمو المعرفة وتطور البحث والاختراع ، حتى اصبحت طبعتها الأخيرة سنة ١٩٢٩ فى اربعة وعشرين مجلداً . ولما كانت هذه الطبعة قد مضى عليها الآن ما يقرب من عشرين عاماً ، صار من الضرورى ان تعدل المعلومات باستمرار حسب تطور العلوم والفنون والاختراعات ، ولذلك يلحق بها كتاب سنوى يسمى « الكتاب السنوى للموسوعة البريطانية » وهذه خطة متبعة فى كثير من دوائر المعارف لتتمكن من تجديد معلوماتها باستمرار ، إذ لا قيمة لكتاب من كتب المراجع دون ان يعنى بالجديد الحديث وبعض المراجع الأخرى تباع فى ملفات ، وكلما جد جديد كل فترة أرسل ليوضع فى الملف بدل القديم ، ويشير الناشر إلى ذلك بالتفصيل ، ولما كان هذا صعب بالنسبة لموسوعة عامة عديدة الأجزاء ضخمة المجلدات ، فانه يكتفى بأن تجدد معلوماتها بطريقة الكتب السنوية .

ومن المهم الالمام بكل هذا ليمكن استخدام كل ما فى الموسوعة من معلومات ، بل ومن الضرورى معرفة مميزات كل موسوعة وكيفية تنظيمها ومدى عنايتها بكل نوع من أنواع المعرفة . وليس هذا فحسب ، بل يجب معرفة الفرق بين الطبعات المختلفة للموسوعة الواحدة ومميزات كل منها فدائرة المعارف البريطانية تتميز طبعتها التاسعة ، والحادية عشر انها أكثر فائدة فى البحوث التاريخية

والموضوعات الأدبية والفنون الجميلة والتراجم وما إلى ذلك ، ولكنها طويلة المقالات إذا قورنت بالطبعة الأخيرة، التى تعتبر أهم وأكثر فائدة من ناحية البحوث العلمية وتطورات العلوم والفنون العملية . ومع هذا كله فان الطبعة الأخيرة واعنى بها الرابعة عشرة ، تعتبر قليلة العناوين طويلة الموضوعات بالنسبة لدائرة المعارف الأمريكية . وإذا عرفنا ان ملكية نشر دائرة المعارف البريطانية قد انتقلت إلى هيئة أمريكية، واعنى بها جامعة شيكاجو، مع ما عرفنا من توخى الأمريكيين تسهيل البحث على نحو عملى مجد، لاستطعنا ان نلمس ما سوف تكون عليه الطبعة التالية من تقصير فى المقالات، وإيراد عناوين متعددة للموضوعات وعناية بالاشارة إلى العناوين الفرعية، وكل ما من شأنه ان يعين الباحث فى سهولة ويسر .

ومع ذلك فان الطبعة الرابعة عشر لها فهرست موضح إلى حد كبير . وتلك وسيلة أخرى لاعانة الباحث وإرشاده، فلا تكاد تخلو دائرة معارف إنجليزية او امريكية من فهرس فى مجلد مستقل فى الغالب ، كما وجدنا فى الموسوعة السابقة وكما نجد فى الموسوعة الامريكية ، وكومبتون المصورة، التى تعالج مقالات طويلة بخط واضح، والمطبوعة على ورق ممتاز، فى أسلوب شيق جذاب ، يتفق مع ما فيها من صور ولوحات وتوضيحات وعناية فائقة فى الاخراج، اذ قصد بها ان تكون مرجعا لطلبة المدارس ومن يماثلهم دون أن يحول ذلك من استخدام الكبار لها:

ومن مميزات دوائر المعارف كذلك ايراد قائمة بالمراجع والكتب التى تعالج كل موضوع على حدة فى نهاية المقال حتى يمكن الرجوع اليها للتوسع ، ويختلف مدى العناية بالتفصيل والتوسع فى هذه القوائم تبعا للغرض وللطائفة التى تعنى الموسوعة بأن تقدم إليها ، ولذلك يجب ان يدقق من يريد اختيار موسوعة لاقتنائها فى المكتبة، فى اختبار هذه الناحية الى جانب النواحى الأخرى .

ومن أهم دوائر المعارف العالمية « الموسوعة الكبرى الفرنسية » وتعتبر أضخم المراجع ، إذ تبلغ واحد وثلاثين مجلداً هى ومطبوعة بين عامى ١٨٨٦، ١٩٠٢، فهى إذن وإن كانت من عيون المراجع، إلا أن اهميتها تقتصر على التاريخ والأدب والتراجم والفنون الجميلة، أكثر منها فى العلوم الطبيعية والفنون العملية ، لأنها لا تسجل ما حدث من تطور ضخم فى التقدم العلمى ، فهى - لعدم حداثتها - قاصرة من مثل هذه النواحى . ومما تجب الاشارة اليه أنها ليس لها ملحقات كما هو الحال فى المطبوعات المماثلة فى انجلترا وأمريكا ، التى تخرج الكتب السنوية السابقة الذكر ، لتجعلها مسايرة للتطور المستمر الذى يسير قدما . وتعتبر الموسوعة سابقة الذكر ، سجلا للمراجع فى الموضوعات التى بيناها ، وهى الموضوعات الأدبية والانسانية البطيئة التطور منذ تاريخ نشر الموسوعة حتى الآن ، ولا نعدم أن نجد فى الفرنسية موسوعة أقل ضخامة من هذه الموسوعة

الكبرى ونعنى بها « قاموس لاروس العالمى » الذى نشر لأول مرة بين عامى ١٨٦٦ ، ١٨٩٠ ، إلا أن له طبعات جديدة وملحقات ، بل ان له ملحقا شهريا مما يجعله أحدث وأهم من الموسوعة الأولى فى الموضوعات العلمية المتطورة .

ومن الموسوعات الألمانية « قاموس بروكهاوس » الذى ترجع طبعته الأولى إلى عامى ١٨٦٠، ١٨٦٦ ، والذى تأثر بتشامبرز فى موسوعته الانجليزية، وطبعته الأخيرة ترجع إلى الفترة التى سبقت الحرب العالمية الثانية، وعليه، فتعتبر الموسوعة غير مسايرة لأحدث تطورات العلوم. ومهما يكن من أمر، فهى تمتاز بالمقالات القصيرة، الا أنها موقع عليها من مؤلفيها كما هو الحال فى دائرة المعارف البريطانية . والتوقيع على المقال آية من آيات الضمان لقيمة ما هو مكتوب ، لأنه يشير غالبا إلى اسم عالم اخصائى فى الموضوع المدروس ، ولو أن ذلك لا يطبق إلى حد كبير فى موسوعة بروكهاوس. والموسوعة ليست بالغة الضخامة كالموسوعة الفرنسية مثلا ، وإنها تقع فى خمسة عشر مجلداً . ويتميز قاموس « مايرز » الألمانى كذلك بوجود خرائط عامة وخرائط المدن، ويحتوى على تراجم الأحياء. ويقع فى سبعة عشر مجلداً .

وأما « دائرة المعارف الايطالية » فهى آية من آيات الفن والجمال سواء فى الطباعة أو فى التنسيق أو فى إخراج صور اللوحات الفنية إخراجا ممتازاً، وكذلك الصور العادية والبيانات المصورة، كما ان مقالاتها ممتازة، وهى تورد مراجع وافية فى آخر

كل باب ، وحتى مقالاتها الصغيرة موقع عليها بامضاء كاتبيها .

وهكذا نجد فى دوائر المعارف مميزات خاصة تميز كل منها وتحدد شخصيتها . فمن الضرورى الالمام بهذه المميزات لكى يمكن توجيه البحث على دعامة سليمة منذ البداية .

والايضاح، يمكن أن نأخذ عدة أسئلة ملتمسين الاجابة عنها فيما سبق ذكره من هذه الموسوعات : —

١ : أين نجد خير صورة لجبال الألب ؟

٢ : أين نجد معلومات عامة عن التقدم العلمى فى القرن السابع عشر ؟

٣ : أين يمكن أن نجد خريطة لمدينة القاهرة ؟

٤ : أين نجد مقالة عن القطن . ليقرأها طلبة البكالوريا ؟

ونجيب على هذه الاسئلة كما يلى : —

١ : قد اجد صورة لجبال الألب فى الموسوعة البريطانية او الأمريكية ، اما ودائرة المعارف الايطالية ضمن المجموعة التى ابحث فيها فيجب ان التمس فيها ما اريد ، لأنها يجب ان تذكر ، إذا ما ذكرت أجمل الصور واللوحات ، ولان جبال الألب تمر بايطاليا . وبالتالى تعنى الموسوعة بذكرها وبذكر كل ما يتعلق ببلادها بوجه خاص .

٢ : فى الحق انه لسؤال محير ، وذلك لان المرء لا يتصور العنوان الذى يبحث فيه على وجه التحديد ، تحت اى عنوان أبحث ؟ أأبحث تحت مادة علوم ؟

وسوف أضيع وقتا طويلا فى البحث اذا لم اكن اعلم ان دائرة المعارف الامريكية تورد القرون تحت اسمائها، فتورد عنوان «القرن السابع عشر» مثلا حيث تذكر تحته اهم ما حدث فيه من تطورات وتسجل أبرز خطوات تقدم الجنس البشرى فى ذلك القرن .

٣ : فأين اجد خريطة لمدينة القاهرة فى مجموعة الموسوعات السابقة وحدها وليس فيها اطالس ؟

من المعلوم ان معظم الموسوعات تحتوى على خرائط وصور، ولكن إلى حد محدود ، غير ان إيجاد خريطة لمدينة القاهرة بالذات ليس ممكنا بادىء ذى بدء إلا لمن يعرف مميزات هذه المجموعة من الموسوعات، فانه واجدها فى قاموس مايرز الالمانى فى الغالب .

٤ : فأين اجد مقالا عن القطن لطلبة البكالوريا ؟ ان تحديد سن درجة ثقافة من اوجه لهم المقال ، تحصر بحثى فى موسوعة قصد بها ان تكون للطلبة، وفى المجموعة التى لدىّ ، ليس امامى غير « موسوعة كومبتون المصورة » ، ولو انه يوجد غيرها فى انجلترا وامريكا ، وهى اعدت للطلبه كذلك ، مثل « الموسوعة البريطانية للصغار» وغيرها، كما توجد موسوعات للأطفال تعالج الموضوعات التى تلائم سنهم وميولهم وفيه من الرسوم والصور ما هو شيق ممتع فى نظرهم .

كتب مراجع اخرى

هـذه أمثلة من ضرب معين من كتب المراجع التى تفيد فى الاستعلام . وقد سبقت الاشارة إلى انواع اخرى من المراجع والفهارس من العبث ان نحاول حتى مجرد الالمام بها فى هذا المقال.

وقد تكون دوائر المعارف من الانتشار والذيوع بحيث يصير الحديث عن قيمتها ومكانتها فى الاستعلام من القول المعاد. ولكن يوجد الى جوار هـذه المجلدات الضخمة كتب اخرى صغيرة رخيصة الثمن لها اهميتها فى هـذا المجال ، مما يدل على ان الاستعلام يتجه إلى حيث تكون الحاجة إلى معلومات قد تبدو تافهة فى نظر العلماء وغير العلماء، ولكن إيرادها كـكتب استعلام، لا يعنى شيئا آخر غير ما قلناه آنفا من ان العلم والمعرفة شىء آخر غير الاستعلام .

ومن هـذه الكتب الهينة الأمر، ما يمكن ان نسميه الكتب السنوية الاخبارية ، وهى من اكثر كتب الاستعلام انتشاراً واستخداما .

ولعل « تقويم هوتيكر » الانجليزى معروف لدى البعض ، وقد يكون من الضرورى ان نقول كلمة عن محتوياته كمثل لمحتويات هذه الكتب الاخبارية السنوية العامة . فهو يحتوى على تقويم فلكى ، وثبت بالاختصارات العامة المصطلح عليها ، وسجل بالاعياد القومية ، ودواوين الحكومة ، والشؤون التجارية والزراعية والصناعية، ويتضمن احصائيات ومعلومات عملية عن

جميع الدول، كما انه دليل للمستشفيات والمدارس والأندية والبنوك وشركات التأمين، والمرتبات والأجور، والرياضة، والجمارك، والضرائب، ومعلومات اخرى عن العلوم والاختراعات، والادب والفن والموسيقى والتمثيليات والافلام السينمائية والاذاعة

وتوجد انواع اخرى من الدليل، كدليل الاشخاص والتراجم، فى كل بلد من بلاد العالم المتحضر، ودليل من ماتوا فى غضون السنة التى ظهر فى نهايتها الدليل. وهناك الدليل الدولى للأحياء، مثل تقويم « جوته » عن الساسة وملوك العالم والأسر المالكة وافرادها، والدليل الدولى الذى تنشره دار اوربا للنشر بانجلترا، ويحوى معلومات عن اشهر العلماء والساسة وافذاذ الرجال فى مختلف دول الارض.

ويلاحظ ان ما ذكرت، إنما هو خاص بالمعاصرين والاحياء. اما كتب التراجم المطولة، مثل قاموس التراجم الوطنى فى انجلترا، ومثله فى امريكا، فهى فى الغالب للموتى من ابناء الدولة الواحدة، وهى ايضا سجل للمشاهير الذين بنوا واقاموا مجد الاوطان.

وتوجد قواميس تراجم عالمية للاشخاص العالميين، الذين ساهموا فى حضارة الانسان، وشاركوا بعبقرياتهم الفذة فى تشييد صروح العمران، اشهرها: (قاموس نلسون) و(قاموس تشامبرز) و (قاموس هاموند المختصر) و (قاموس لبينكات للتراجم والاساطير). وليست قواميس او موسوعات التراجم بالكتب المحدودة الحجم، فان قاموس التراجم الوطنى فى انجلترا،

يبلغ ثلاثة وستين مجلداً . ويحتاج البحث فى كل منها الى معرفة المجال الذى يدرسه القاموس .

وفهارس الكتب والمكتبات من المراجع البالغة الأهمية المعرفة الكتب التى كتبت عن موضوع معين، او اسم الكتاب الذى ألفه مؤلف بالذات ، او اسم المؤلف الذى ألف كتابا معينا ، او تحديد مكان وجود الكتب النادرة، او الخاصة. ولكل نوع من انواع الفهارس مميزاته، ومجال استخدامه عند الحاجة. كل هذا إلى جانب فهرس المكتبة التى يلجأ اليها الفرد فى بحثه، والذى يجب ان يكون مرشداً للمؤلف او العنوان إذا جهل احدها ، كما يجب ان ينظم بحيث يتضمن الكتب التى الفت عن موضوع معين تحت عنوان هذا الموضوع ، علاوة على إيجاد فهارس وقوائم مستقلة فى موضوعات لها اهميتها الخاصة .

والمجلات بالغة الاهمية للأسباب الآتية : —

١ - انها تحوى احدث المعلومات التى تنشر بأسرع وسيلة .

٢ - وهى تأتى بمعلومات قد لا تنشر فى كتب مستقلة .

٣ - وهى تدلنا من الناحية التاريخية على النحو الذى كان يفكر عليه الناس فى عصورهم وبيئتهم.

وفهارس المجلات والدوريات تظهرنا على :

١ - اسماء المجلات التى تدرس موضوعات معينة كالكيمياء او الطبيعة او علم النفس، ويرشدنا اليها دليل مثل

Ulrich periodcals directory, Bowker Comp., N. Y.

٢ - فى اى المجلات ، وفى أى عدد ، وفى اى صفحة من المجلة يوجد موضوع بالذات ويرشدنا فى ذلك

1 - International index to periodicals, Wilson, New-York
2- Reader's guide to periodicals, Wilson, N. Y.

وهذا الأخير اقدم ظهوراً من الاول .

٣- فى اى المكتبات العامة توجد مجموعات المجلة فى تواريخ معينة ويرشدنا إلى ذلك قوائم مثل :

1 - Union list of serials, Wilson, N. Y.
2 - World list of scientific periodicals, Cambridge.

٤ - فى اى بلد تطبع المجلة وتنشر . ويرشدنا إلى ذلك مثل دليلى: Ayre فى امريكا و Mitchell فى انجلترا .

٥ - معظم الفهارس تشير إلى الناشر والثمن والعنوان .

٦ - ويرشدنا إلى اسم المجلة القديم اذا كان قد تغير .

ويمكن للاستعلام عن الحوادث الجارية استخدام فهارس الجرائد ، وهى فهارس موضوعية لأمهات الصحف . مثل فهرس «النيويورك تيمس» ، وهو هام للجميع ، وللصحفى بصفة خاصة .

ويمكن الاستعانة بالأطالس لمعرفة الحالة الجغرافية ، والمناخ ولتحديد فى اى دولة توجد بلد من البلدان ، وخطوط سير السفن والملاحة والزمن والمسافة ، وقد يقصد بالاطلس ان يكون تاريخياً مثل « اطالس فيليبس التاريخية » .

ومن هذه المصادر ايضا ، قوائم الاثمان ، واوصاف الادوات والسلع ، وجداول الزمن للقطارات والسيارات والسفن والطائرات

وانواع من دليل المتاحف والهيئات الحكومية والبنوك والجرائد والصحف والمعاهد والجمعيات العلمية واتحادات الغرف التجارية، ودليل المكتبات ودليل المهن المختلفة كالمحاماة والطب والهندسة والتمثيل والسينما الخ.. وقبل هذا وذاك، دليل المدن، ودليل التليفون.

وهكذا تجد مختلف الوان المراجع العامة من قواميس الى دوائر معارف، إلى انواع الدليل المختلفة التى حاولنا ان نتكلم عنها فى اختصار وإيجاز فى هذا المقال، لنضرب مثلا لما نعنيه بكتب المراجع العامة التى تتميز عن كتب المراجع الخاصة بأن الاخيرة تدرس موضوعات خاصة كالكيمياء أو الطبيعة او الفلك او الموسيقى الخ.

* * *

ولاهمية هذه الكتب وما تستطيع ان تؤديه من خدمات تدرس كمادة من اهم المواد فى برامج دراسة فن المكتبات، باسم المراجع والفهارس. وهذه الخدمات تعتبر خدمات اصيلة ورئيسية تقوم عليها المكتبة الحديثة التى ترشد ابناء المجتمع إلى الحقائق. واذا كانت المكتبة تعتبر إعارة الكتب العادية حقاً من حقوق المواطن، فان اجابة هذا المواطن عن استعلام هو فى حاجة لمعرفة الاجابة عليه لا يقل فى اهميته عن إعارة الكتب وغيرها من الخدمات الرئيسية.

والأهم من هذا كله، هو ان نعلم ابناءنا طرق البحث سواء فى المدرسة او فى الجامعة، وسواء أكان ذلك على نحو عام كما هو فى

الأولى، ام خاص كما هو فى الجامعة ، بحيث يلم الطالب بمناهج البحث فى كتب المراجع العامة، ويلم كذلك بكتب المراجع فى موضوع تخصصه .

اننا لا نريد قوما يحفظون ويحصلون، وانما نريد ان نوجد جيلا يعرف اين يجد ما يريد حين يريد . وذلك، فى رأيى، هو سبيل قويم للتعليم ، يمتلك به الطالب ناصية منهج من مناهج البحث والاستعلام ، يواجه به مشاكل الحياة والمعرفة . فالفارق بين من يعتمد على ما حفظه وحصله من العلم ومن يعرف اين يبحث ، كالفارق بين من يعتمد فى معاشه ، على مال ورثه، ومن يعتمد على مهنة تعلمها، فكل قيمة الوارث فى ماله، واما صاحب المهنة فهو يحصل على معاشه بعلمه وخبرته التى أضحت جزءاً من شخصيته.

وعلى كل، فالمعرفة والتحصيل والقراءة من ناحية ، والالمام بوسائل الاستعلام والبحث من ناحية أخرى، صنوان، وكل منهما يكمل الآخر . ولذا يجب أن نتعلم هذه الوسائل كيما تنمى المعرفة وتيسر التحصيل ونجعله أمراً حيويا نأخذه عند الحاجة وعند تهيؤ النفس وتفتح الذهن .

والمكتبة فى المدرسة جديرة بأن تعلم هذه الخدمات وتجعلها عادة، كما ان المكتبة العامة فى الحياة هى الملاذ الذى يلجأ اليه الفرد للاستعلام الصحيح المنزه عن الأغراض ، ومن واجبها أن تمدنا بهذه الخدمات كما تؤديها فى الغرب . وإذا كنا نتعلم هذا كله من المكتبة فيجب أن نتعلم منها أيضا الاعتماد على النفس

فى استخدام مراجع الاستعلام .

اننا بذلك لا نملك كنزاً قد يضيع هباءاً أو قد يسرق ، وإنما نملك مفتاحا لكنوز وثروة نستخرجها حين نحتاج اليها .

فهل حقا أن «الرجل الحكيم ليس هو بالضرورة من يعرف وإنما هو الذى يعرف أين يجد ما يحتاج إلى معرفته » ؟

يمكن الرجوع إلى المراجع الرئيسية للمقال وهى :

Mc Colvin : How to use books.
Mudge : Guide to reference books.
Shore : Basic reference books.
VanHousen : Bibliography.

فنون المكتبات

« لم يعد اخصائى المكتبة موظفا إداريا بعيداً عن المساهمة فى رسم سياسة نشاط المعهد الذى يعمل فيه ، ولكنه شخص درس ومارس هذا الفن ، فأصبحت عليه واجبات تربوية ، وأنيطت به مسؤوليات إجتماعية خطيرة »

ورستن

يحسب اكثر الناس فى الشرق أن أعمال المكتبة إنما هى أعمال كتابية وضعية الشأن، قليلة الجدوى، بحيث ينزلونها إلى مراتب الهوامش والتوافه، دون أن يفطنوا إلى ما لها من أثر عميق الغور ونفوذ فعال فى تكوين المجتمعات ورفع مستوى الأمم، على نحو ما حاولت ان ابين فى الفصول السابقة، بما تستطيعه المكتبة فى مجال الاصلاح الاجتماعى واساليب التربية والتعليم والبحث وانفاق وقت الفراغ.

وسبق ان بينت مدى حاجتنا إلى معهد على الأقل لتخريج نخبة من ذوى الثقافة الممتازة للنهوض بهذه المؤسسات، ومدى اهمية تدريس هذه المواد فى معاهد التربية لتخريج معلمين على إلمام بأساليب الخدمات المكتبية وبمهمة المكتبة الخطيرة فى التعليم، وضرورة وجود هذا اللون من الدراسة فى كل مجال من مجالات التعليم فى مختلف المعاهد والكليات.

والاهتمام بالمكتبة أمر واضح فى الحضارة الغربية التى عنيت بها، وأقامت المعاهد المختلفة لتخريج الاخصائيين والخبراء فيها. وانتهى الامر بالمكتبات الى أن تكون آية النهضة، ومرآة العناية بالعلم والبحث، والتربية الشعبية. وما كانت لتكون كذلك لو أنها أهملت او اعتبرت ضرباً من المخازن، وما كانت لتكون كذلك لو أن هذه الأمم الغربية لم تفطن إلى اهمية إذاعة هذه الدراسات، والتمرن على الوان هذه الخدمات التى تعدّ لمهنة خاصة، فامم الغرب آمنت بما هو شبيه بما ذكره الأستاذ (يوسف

اسعد داغر) أمين دار الكتب اللبنانية فى مقال له بمجلة الأديب، عدد كانون الثانى سنة ١٩٤٧ ، فى عرضه لأهمية المكتبات، وضرورة العمل على إتاحة دراسات لها فى الشرق فذكر ما قاله (كيويك) مفتش عام المكتبات بمدينة باريس حيث قال « إن الوسائل التجريبية والتعليم الذاتى يسببان أبداً ضياعا فى الوقت واضطرابا فى العمل وإفساداً لرسالة المكتبة، ومن ثم يجب ان يكون المشتغل بها قد إجتاز مرحلة التعليم ليحذق طريقة العمل والأخذ به »

وقد تقدمت دراسات المكتبات فى الغرب حتى صارت جامعة مثل جامعة شيكاجو تمنح درجة الدكتوراه فيها، إلى جانب ما يقرب من ثلاثين جامعة أخرى فى انحاء الولايات المتحدة وحدها تمنح درجتى الأستاذية والبكالوريوس ، ومن شروط الالتحاق لنيل درجة البكالوريوس انه لابد ان يكون الطالب قد انتهى من نيل درجة جامعية فى موضوع خاص وان يكون قد اشتغل بالمكتبات .

وليس لى أن احدثك عن مثل هذه المعاهد والجامعات فى أنحاء أوربا ، وإنما أقول ان بعض ولايات أمريكا الجنوبية، وهى ليست أرقى من بلادنا تحضراً ولا نهضة، قد انشأت معاهد من هذا القبيل إيماناً منها بالقيمة الاجتماعية والتربويه للمكتبات .

وفى كل بلد ناهض، إتحادات للمكتبات متعددة ، وهيئات تشرف على رفع مستوى هذه المهنة والتقدم بهذا الفن ، وإذاعة

المؤلفات عنه ، وتنسيق التعاون والخدمات بين المشتغلين به ، سواء أكانت هذه الهيئات حكومية أم أهلية ، ولكل منها مجلة دورية على الأقل تعنى بنشر الأخبار الهامة عما يجد ، ولا يتسع المجال لبسط اوجه النشاط المختلفة التى يقوم بها كل اتحاد وكل هيئة نهضت لخدمة المكتبات، باعتبارها جامعة لتعليم الشعب، وباعتبارها وسيلة للبحث والتقدم العلمى والتعليمى .

فماذا يتعلم الفرد ليكتسب الخبرة والمران وما هى الثقافة التى تؤهله للعمل بالمكتبة ؟

إنى لاقتضب الحديث، فأقول إننى لم أرجع الى مراجع ضخمة لبيان امثلة لما يدرس من الثقافة المكتبية ، وانما رجعت الى نشرة مدرسة الخدمات المكتبية ، بجامعة كولومبيا ، بنيويورك، لعام ١٩٤٦ — ١٩٤٧ . وقد ورد فى برنامج الدراسة الكثير من الموضوعات، منها ما هو ضرورى لا بد من ان يدرسه كل طالب، ومنها ما هو اختيارى يدرس حسب الميول الى التخصص فى فرع معين . ونلخص الموضوعات الواردة فى النشرة المشار اليها فيما يلى

١ - الفهرسة والتبويب ، اى كيفية عمل الفهارس وبطاقاتها وتبويب هذه البطاقات فى تقسيم مصطلح عليه وموضوعات معروفة .

والغاية من ذلك إيجاد الوسيلة الفعالة لاطلاع القارىء على ما فى المكتبة من كتب فى سهولة ويسر ونظام. ويحتاج الطالب الى إلمام بالاصطلاحات المتبعة والقواعد المرعية مع فهم لموضوع كل كتاب لامكان تبويبه وارشاد القارىء اليه .

٢ - أساس الخدمات المكتبية من الناحية الاجتماعية والعلمية ، وتطور المكتبة وانظمتها وصلتها بالمعاهد التعليمية والمؤسسات الاجتماعية الخ .

٣ - إدارة المكتبات وتنظيم العمل وتقسيمه، وواجبات الاخصائيين وعلاقتهم بها ومدى مسؤولية كل منهم فى عمله الفنى والادارى، والمؤهلات التى تشترط لكل عمل فيها وما الى ذلك .

٤ - الخدمات المكتبية الشعبية وانواعها ومدى صلة الجمهور بالمكتبة، وكيفية عمل احصائيات شاملة لدراسة المنطقة اجتماعيا ودراستها من ناحية الوسائل التى يمكن أن تمتد بواسطتها الخدمات المختلفة لكل طائفة ، وعلاقة المكتبة بالمؤسسات الحكومية والأهلية كالمدارس والجامعات الخ .

٥ - المكتبات فى الجامعة والكليات وعلاقتها بالتدريس، ومجلس الجامعة او الكلية، وانواع الخدمات الواجبة مع الاهتمام بالفهارس والمراجع وتقسيم العمل لجعل المكتبة وحدة وظيفية فى منهج البحث والدراسة الخ .

٦ - المكتبات فى المدرسة وتدرس صلتها بالمدرسة ومناهجها واهميتها التربوية، ونواحى النشاط المتلائم مع النشاط المدرسى

سواء من ناحية الدراسة او وسائل انفاق أوقات الفراغ، ودراسة عقلية التلميذ والموانع العقلية والجثمانية التى تحول دون تقدمه، وطرق إغرائه على القراءة، وانواع القراءة الملائمة لكل سن والفهارس والقوائم والدوريات التى تسجل الكتب الملائمة لعقليات التلاميذ فى مختلف اعمارهم، وترتيب المكتبة بما يتلاءم وهذه العقليات.

٧ - المكتبات فى المؤسسات الخاصة كالشركات والسجون والمستشفيات، ومعرفة اغراض كل مؤسسة، وقد سبقت الاشارة الى مثل هذه الخدمات فى فصل «بروميثيوس» الجديد من هذا الكتاب.

٨ - علم المراجع الخاص والعام، ويرمى الى جعل الطالب خبيراً بكتب المراجع العامة، كدوائر المعارف والقواميس والمعاجم والأطالس وانواع الدليل وفهارس المكتبات وفهارس الدوريات والنشرات والرسائل الجامعية وغيرها، وهذه إما عامة، للاستعلام الذى يحتاجه جمهرة الناس او خاصة بفرع معين من العلوم والفنون وبواسطتها يستطيع المرء ان يستعلم عما نشر فى بحث خاص او يقف على محتويات كل موضوع نشر فى بحث بالذات او يستعلم عن الشركات او الهيئات او المواعيد.. الخ الخ. راجع فصل «المعرفة من الحكيم القديم الى المواطن الحديث» من هذا الكتاب.

٩ - فن اختيار الكتب وتقديرها ونقدرها وسنعرض له

فيما بعد بشيء من التفصيل كمثل من الثقافة المكتبية .

١٠ - دراسات عن ميول القراء من البالغين ، وعقلياتهم، والعوائق التى تعوقهم عن القراءة وخطواتها السيكولوجية ، ومميزات كتب كل طائفة من طوائف البالغين ، وكيفية تشجيعهم بواسطة برامج القراءة التى تنظمها المكتبة وغيرها الخ.

١١ - مكتبات الأطفال وصلتها بالمكتبات العامة والمدارس ، وجمعيات الأطفال ، وعناصر الخدمات فى مثل هذه المكتبات ، وسيكولوجية الطفل وعلاقتها بالقراءة وميول كل طائفة حسب السن والجنس والبيئة ومميزات الكتب الملائمة لكل منهم من ناحية الموضوع والرسوم والصور التوضيحية ، ودور النشر التى تهتم بنشرها، وأشهر الكتاب الذين يكتبون للاطفال، وأشهر الكتب التى كتبت لكل طائفة منهم، والفهارس التى تسجل هذه الكتب ووسائل تشجيع الأطفال على القراءة بالأفلام والحفلات الموسيقية والمسابقات والمعارض وقص القصص عليهم تبعا لبرامج معينة، واتصال الاخصائية بالاطفال فى المدرسة وغيرها فى خارج المكتبة، والالمام بمشاكل الاطفال وتربيتهم وتعليمهم.

١٢ - تاريخ الكتب والطباعة وتطورها ، مثل الالمام بطابع المخطوطات فى مختلف العصور ، وتطور الطباعة وحروفها واشكالها وطرقها لامكان تمييزها ومعرفة كل طابع . . الخ .

١٣ - علم النفس التطبيقى للمكتبات والافادة منه فيما يتعلق بالخدمات أو بالقراء وغير ذلك .

١٤ - اعانة البالغين الكبار على القراءة، وهى دراسة لمن يهتم بخدمة البالغين الذين يريدون تعليم أنفسهم، لرغبتهم فى تحسين مستواهم. ذلك بحذق مهنه أو إرضاء هواية، وهذه الدراسة من شأنها أن تجعل مرشد القراءة قادراً على فهم كل عقلية ومستواها، والكتب التى تصلح لها، وإعداد قوائم من الكتب ملائمة، لكل واحد من هؤلاء القراء، لبيان مستواه ومهنته وتعليمه ومدى تقدمه وهكذا.

١٥ - تدريس أهمية المكتبات كمؤسة تربوية، تعليمية وهو فى الغالب لمن يهتمون بتدريس المكتبات وللمعلمين.

١٦ - علاقة المكتبة بالمجتمع والبيئات المختلفة فيه والجمعيات والهيئات وتاريخ المجتمع وثقافته ونون الحياة السائد ووسائل خدمته وعمل احصآت شاملة من الواقع الخ.

١٧ - مكتبات الموسيقى ووظيفتها وأهميتها وخدماتها، مثل جمع التسجيلات الصوتية، وطرق اختبارها، واعدادها وفهرستها، والعناية بمعرفة أشهر التسجيلات، وأشهر الموسيقيين مع تمييز الطوابع المختلفة لموسيقى كل شعب وعصر، الى جانب اقسام الاستعلام عن مجلات ومعاهد الموسيقى ودورياتها، وأشهر شركات التسجيل واختصاص كل منها، والمسارح المختلفة وأشهر الممثلين الفنانين، والملحنين والمغنين الخ.

١٨ - خدمات المكتبات الطبية مثل الوقوف على مصادر المراجع فى الابحاث الطبية ومعرفة خصائص كل منها مع العناية

بأوجه الاستعلام والمراجع المختلفة التى تمت بصلة الى الطب وشؤونه وأبحاثه ومعاهده وأشهر رجاله فى كل فرع الخ .

١٩ - دراسة صناعة النشر ووسائلها واساليبها وأساليب الطبع والاعلان والدعاية وشركاتها، ويدرس الى جانب ذلك طرق تلخيص وفهرسة المقالات العلمية وغيرها مما له خطر وشأن فى تطور العلوم والفنون وذلك لنشرها فى دوريات تعتبر فهارس لمحتويات الكتب والمجلات والابحاث فى كل باب من أبواب المعرفة .

٢٠ - فهرسة وتبويب المجلات والدوريات وهى التى تختلف عن الكتب من حيث اعدادها ومجلداتها واستمرار صدورها مما يجعل لفهرستها وتبويبها نظما خاصة تختلف عما هو متبع فى الكتب .

٢١ - ادارة المكتبات الخاصة بالمرضى فى المستشفيات وقد سبقت الاشارة اليها فى فصل بروميثيوس الجديد .

٢٢ - المكتبات القانونية وعلاقتها بالمؤسسات القانونية وأشهر المكتبات فى هذا الموضوع والالمام بكتب المراجع فى البحث ، ومصادر القوانين وكتبها والهيئات التى تنشرها وكيفية الحصول عليها ، وكيفية جمع المعلومات من مصادر غير مطبوعة، وغير ذلك مما هو متعلق بكل مكتبة توقف على موضوع خاص .

٢٣ - المطبوعات والمنشورات الحكومية وأنواعها ومصادرها وطرق الحصول عليها ووسائل استخدامها وفهرستها وتبويبها ،

وكل ما يتعلق بمثل هـذه الخدمات فى مطبوعات الدولة أو مطبوعات الدول الاجنبية .

٢٤ - القصص المعاصر ومذاهبه وأنواعه واختلافه عن قصص القرن التاسع عشر وما سبقه، وأشهر المؤلفات، وأعلام المؤلفين فى مختلف البلاد ، مع العناية بالدوريات والفهارس التى تعنى بالقصص ونقده وتلخيصه ، وأشهر الناشرين الخ .

٢٥ - الميكروفيلم وطارق استخدامه فى الخدمات المكتبية، والميكروفيلم من شأنه ان يصور الوثائق والمخطوطات التى تحتاجها المكتبة أو يحتاجها باحث فى حيز ضئيل جداً لتعرض فى أى مكان آخر بواسطة آلة العرض. كما أنه يصور الجرائد الكبرى مثل « النيويورك تيمس » فتحصل المكتبة على أفلام مصورة ضئيلة الحجم فتوفر بذلك فى حيزها بدلا من المجلدات الضخمة التى تملأ فراغ المكتبة، والمعروف ان المكتبات تعانى بمرور الوقت من ضيق المكان . وفى هذه الدراسة يلم الطلبة بوسائل التصوير المختلفة ومميزات ومضار كل منها وكيفية استخدام آلة العرض الخاصة بالميكروفيلم كما يتعلمون كيفية استخدام آلة التصوير وكيفية الحصول على الافلام مع الالمام بمصادرها وموضوعاتها وكيفية اعدادها وتنظيمها وكل ما يمت الى هـذا الفن بسبب .

٢٦ - توضيحات ورسوم الاطفال وأنواعها وما يتلائم منها مع كل جنس وسن وبيئة وأشهر الكتب التى تعنى بالرسوم وأشهر

الرسامين وأشهر دور النشر .

٢٧ - توضيحات ورسوم الكتب الاخرى وأنواعها ومدى أهمية كل نوع ومدى ضرورتها فى كل موضوع وفى كل مستوى .

٢٨ - هندسة البناء الخاصة بالمكتبات حسب حجم ووظيفة كل مكتبة والاصول التى يقوم على أساسها البناء ليكون وظيفيا، أى حسب ما تؤدى المكتبة من خدمات ، وليكون مرنا قابلا للاضافة اليه أو لتغيير تقسيمه الداخلى ويراعى أهمية تسهيل ارتياد الجمهور له ومدى اقباله عليه .

٢٩ - دراسة الخطوط والحروف فى الطباعة وتطورها فى مختلف العصور بالتفصيل .

٣٠ - دراسة المكتبات فى الريف وطابع الحياة الاقتصادية والاجتماعية ودرجة التعليم ومدى قربه واتصاله بالحضر، وأنواع الكتب والمطبوعات التى يمكن ان يفيد منها ، وكيفية إيجاد الخدمات المكتبية على نحو مجد .

٣١ - الوسائل الفنية لاعداد منشورات ومطبوعات المكتبة، كالفهارس والنشرات وقوائم المكتبات وما إلى ذلك .

هذا برنامج الدراسة فى جامعة واحدة لسنة دراسية واحدة، وتوجد دراسات أخرى فى جامعات أخرى مما يمت الى ما ذكرت بسبب .

ومهما يكن الامر فان الدراسة فى بلد اجنبى لا تغنى عما نريده

من برامج لدراسة المكتبات فى بلادنا بحيث تتفق وثقافتها ولون حضارتها وطبيعة الحياة الاجتماعية فيها .

وقد اقترح الاستاذ يوسف أسعد داغر فى مقاله آنف الذكر، بمجلة الاديب، عدداً من الموضوعات جعلها أساسا لبرنامج دراسة هذا الفن ليتفق والثقافة العربية ونحن بدورنا نشير فيما يلى الى رؤوس تلك الموضوعات التى اقترحها الاستاذ :

١ ـ الكتاب وتاريخه ومادة الكتابة والورق والطباعة وتطورها فى الشرق والغرب .

٢ ـ علم الخطوط العربية ومدارسها وطابع كل مدرسة وتطور الخط .

٣ ـ علم نقد النصوص .

٤ ـ تاريخ المكتبات فى الشرق والغرب .

٥ ـ فن تنظيم المكتبات .

٦ ـ علم الفهارس والمراجع .

٧ ـ الثقافة العربية ومقوماتها السياسية العربية والغربية ، والاتجاهات الحديثة وحركة النقل والترجمة .

٨ ـ علم الصحافة والصحافة العربية .

٩ ـ الاستشراق وتاريخه .

١٠ ـ تاريخ علم الآثار الشرقية .

١١ ـ أوليات علم العمارة .

١٢ ـ اللهجات العربية وعلاقاتها باللغات السامية .

١٣ - تاريخ الحضارة الاسلامية .

١٤ - فلسفة التاريخ الشرقى والغربى .

١٥ - دور المحفوظات فى الشرق وفن تنظيمها .

تلك هى رؤوس الموضوعات التى اقترحها كاتب المقال ومن الملاحظ انه يعنى بالدراسات الادبية والثقافية والتاريخية الى جانب الفن المهنى لتنظيم المكتبة وادارتها .

والواجب أن نهتم بالجانب العملى فى هذه الدراسات على ألا يحول ذلك دون دراسة مايتفق وحضارتنا، مثل ما اقترحه الأستاذ داغر .

ولما كان مجرد ذكر رؤوس عناوين الدراسات التى تدرس لا يكفى للدلالة على اهميتها وكنهها ، فقد رأيت أن أختار منها موضوعا حيويا شيقا لأتناوله بشىء من التفصيل .

وقد راعيت فيه ألا يكون فنيا بحتا قاصراً على المشتغلين بالمكتبات وحدهم ، وانما هو موضوع مما يهم كل محب للبحث والمطالعة، وكل من يحفل بالكتب وقيمتها ويؤمن بقدرتها وأثرها. وأعنى بذلك موضوع « فن اختيار الكتاب » الذى أعرض له فى الفصول التالية فى حدود مستوى المكتبة الشعبية ، وصلتها بالثقافة ومستوياتها الاجتماعية العامة ، وذلك حتى لا نخرج عن موضوع الكتاب وما للمكتبة والكتب من علاقات اجتماعية تبدو فى الثقافة العامة التى تهيئها للقارىء العادى .

فن اختيار الكتاب

«لا تقدر جهود المشتغلين بالمكتبات تبعا لكثرة الكتب التى أعاروها، ولا تبعا لما يدبرون من مال ينفق على الكتب، وانما المقياس الصحيح لنشاطهم هو المدى الذى وصلت اليه جهودهم فى جعل الكتب العظيمة شيئا حيا سائغا ملهما للناس، فاذا لم يكن المشتغل بالمكتبة ثقة فى الكتب خبيراً بها، فانه كالطبيب الذى لا يفيد من علمه فى العلاج».

مجلة مكتبات نيويورك يوليو سنة ١٩١١

لما كان من المستحيل على المكتبة الشعبية أن تشترى جميع الكتب فانها تحصل على ما هو جدير بالشراء ، فى حدود ميزانيتها ، التى يخصص منها الربع لشراء الكتب ، فى حين يخصص النصف لأجور الموظفين ، وأما الربع الباقى فينفق على الأثاث والتأمين والنشر وتكاليف البناء والنظافة وما الى ذلك.

ويقسم المبلغ الخاص بالكتب الى ٤٠ ٪ لشراء الكتب الموضوعية و ٣٠ ٪ للقصص والرحلات والتراجم و ٣٠ ٪ تخصص لشراء كتب الاطفال والصبيان .

وتضع المكتبة نصب عينيها التوفيق بين مطالب الناس وما يرضى رغباتهم ، وبين ما هو جدير بأن يكون ثروة خصبة فى حياة الجماعة.

ولذلك فقد عنيت المكتبة بدراسة هذه الرغبات والوقوف على التيارات الاجتماعية والنزعات التى تسود فى فترة معينة والتى يزداد فيها الاقبال على لون معين من الكتب .

وقد بين الباحث الاجتماعى ليند فى كتابيه عن دراسة نموذج للبلدة الأمريكية ، مدى تأثير الازمات الاقتصادية على القراءة ، كما سجلت فترة الأزمة الاقتصادية الأمريكية اقبالا على لون معين من الكتب ، كما سجلت حركات تقدمية انشائية فى تاريخ النشر مما هو ظاهر من احصائيات المكتبات فى تلك الفترة .

ومعنى عناية المكتبة بالتيارات والتطورات الاجتماعية وأثرها فى القراءة ليس شيئا آخر غير واجب من واجبات

المكتبة الديمقراطية، التى تسعى الى تعرف الميول السائدة ومحاولة تحقيق ما تصبو اليه دون أن تنسى ما يجب أن تؤديه لترفع مستوى الثقافة والذوق.

وتبدو هذه المشكلة بوضوح فى المجتمع الضيق فى البلدة الصغيرة أو القرية، حيث تكون الروابط قوية بين الافراد، كما هى وثيقة بينهم وبين مؤسساتهم الشعبية كالمكتبة. وذلك لطبيعة حياتهم الاجتماعية، ولما لتوفر وقت الفراغ وهدوء البال وتفتح النفوس للقراءة من اثر فى توثيق هذه الصلات، فتعنى المكتبة الشعبية فى مثل هذه المجتمعات الضيقه خاصة بالمطالب والرغبات الاجتماعية والتوفيق بينها وبين ما يجب ان يبقى ويرقى بالفكر والحياة الثقافية والاجتماعية.

وهى تحاول ان تقف على مطالب القراء سواء بدراسة الحالات الاجتماعية والاقتصادية والدينية والمهن والتقاليد السائدة والمؤسسات القائمة لخدمة الجماعة وغيرها، أو بدراسة الحالات الشخصية للقراء فى المكتبة بواسطة مرشد القراءة وغيره.

وتصبو مع ذلك الى الارتفاع بمستواهم، ولذلك فهى تختار الكتب الملائمة تبعا لمستوى معين وتبعا لمقاييس معينة، وذلك يستلزم الالمام بأنواع الكتب وطريقة قراءتها ومقاييس نقدها والمراجع التى يرجع اليها لمعرفة قيمة الكتب ووسائل النقد ومميزاته وأساليبه وخبرة بالطباعة والنشر.

والى جانب هذا كله فان اختيار الكتب يستلزم الالمام

بالكتب العظيمة الرائعة والفهارس والمراجع فى كل باب من أبواب المعرفة .

وهذا هو ما سوف نعرض له فى فصلى: —

١ — الكتب فى الميزان .

٢ — جولة حول المعرفة.

أما عن مشكلة اختيار الكتب فى المكتبات الخاصة فهى أقل تعقيداً وصعوبة منها فى المكتبة الشعبية العامة التى تخدم طوائف متعددة وامزجة متباينة ، فى حين ان مكتبة خاصة فى كلية او مدرسة او جمعية تخدم طائفة متجانسة وتعنى بمستوى ومواضيع معينة حين تختار كتبها . ومهما يكن الأمر فان الفصلين الذين سأتناول فيهما هذا الموضوع لهما أهميته ، خاصة لكل من يعنى بالكتب والمكتبات فى أى مجال وفى أى مستوى. وانى لمعالج هذه الموضوعات علاجا سريعا ، مشيراً الى المراجع لمن يريد التوسع .

الكتب فى الميزان

ألوان من الكتب

إن تقسيم المعرفة، منذ القدم، باب معروف فى الفلسفة القديمة والوسيطة والحديثة، واذا كانت أنظمة المكتبة الأولى فى تبويب العلوم والمعارف قد تأثرت بتقسيم بيكون الفلسفى، فان الانظمة الحديثة للتقسيم لا تتأثر كثيراً بمنطق الفلسفة فى هذه التقسيمات، لانها تبوب المعرفه لغرض عملى، هو ترتيب الكتب فى أماكنها على أسهل نحو للاهتداء اليها.

على أننا فى عرضنا لألوان من الكتب لا نعنى بتبويب المكتباب وأنظمتها وانما نسوق الحديث لبيان اتفاق كل لون منها وملكات الانسان وميوله. فبعضها يغذى العقل، وبعضها تستسيغه المشاعر والعواطف، وثمة طائفة ثالثة من الكتب تعنى بالذاكرة مثل التاريخ، وضرب رابع منها يتخذ الخيال مسرحه مثل الشعر والقصص. وقد سبق ذكر تقسيم المكتبة للكتب التى منها ما هو جدى موضوعى وما هو خيالى، والأولى تخاطب العقول والثانية تخاطب الخيال والمشاعر بوجه عام.

وثمة تقسيم آخر يجعل بعض الكتب أداتها الالهام مثل

أغلب كتب الدين والشعر والأدب والقصص الرائع ، وبعضها الآخر متعلق بذكر الحقائق مثل التراجم والتاريخ والرحلات والكتب العلمية الخالصة والفنون العملية والعلوم الاجتماعية ، وبعض ثالث غايته الترفيه وانفاق الفراغ مثل المقالات والكتب المبسطة فى الموضوعات الطلية .

على أنه من المسلم به أن الكتب العظيمة لا تقف عند حدود هذه التقسيمات الملفقة ، بل كثيراً ما تتعداها فتكون مصدر تعريف بالحقائق، ومصدر إلهام، ووسيلة لانفاق أمتع أوقات الفراغ . فمسرحيات شكسبير وقصص ديكنز هى لانفاق وقت الفراغ ، ومع ذلك فهى ملهمة . وقصة أحدب نوتردام لهو جو تجمع الى كونها مسلية شيقة انها مصدر إيحاء ومصدر تعريف بالعصر الذى كتبت عنه . وكتاب مثل أصل الانواع لدارون ، كتاب حقائق ونظريات ومع ذلك فهو كتاب شائق موح معاً .

ولكن ما هو الكتاب العظيم ؟ (١)

أهو هذا الضرب من الكتب التى ينصح الجميع بقراءتها ومع ذلك لا يقرؤها أحد كما يقول مارك توين؟!

لعل الكتب العظيمة لفظ يطلق على تلك الكتب التى

---

1 - Adler: How to read a book, 1940. p 323-335

اتخذت مكانها فى عقول الناس وثبتت قيمتها فصارت على الايام أكثر الكتب ذيوعا بينهم ، يجدون فى طلبها فكأنها كتب معاصرة حديثة فى كل عصر وكل جيل .

ثم إن مثل هذه الكتب سائغة للجميع ، فخاصة الناس وعامتهم يرضون عنها ويجدون فيها غذاء روحياً خصباً ، أو يجدون فيها بعض نفوسهم لأنها تصور هذه النفوس ، وتصور ميولها ونزعاتها فتخاطب الجميع وان وضعت لتصف عصراً بعينه أو أشخاصا بالذات.

* * *

واذا كان الناس يحفلون بالجدى من الكتب التى تنمى معارفهم فهل يجدر بالمكتبة أن تهتم وتحفل بالقصص الى هذا الحد البعيد الذى نذهب اليه مع أننا فى عصر الواقع والحقائق والعلوم التى تقوم عليها ، والفنون العملية التى تتخذ نتائج البحث فى العلوم البحتة لتدعم الحضارة وتقيم العمران ؟

إن وظيفة القصص كوظائف الفن فى الحياة (١) فهى تصف الحياة ، وتكرر حدوثها كيما يسعد المرء بالاستمتاع بما فيها من أخيلة عذبة مشرقة ، وكيما يخفف من شقائه بما يلمس من شقاء الآخرين ، فهى أداة تطهير من الآلام ، كما هى وسيلة للسعادة

---

1 - Charles Lalo: Notions d'ésthetique: relations de l'art et la vie.

وهى أيضا وسيلة خيالية للتعويض عما نشعر به من نقص وعما نحسه من حرمان .

فالقصة عالم خصب يرفعنا الى عوالم أخرى لنشرف على الحياة أقوياء ، وذلك على يد المربى البصير . والواجب ألا نعنى بها كوسيلة لانفاق الفراغ فحسب ، بل كعامل للتربية الصالحة السوية ، فاذا ما ترك القراء وشأنهم فقد تؤدى الى مثل الشرور التى نجمت عن اذاعة كتاب (فرتر) حين نشره جوت ، فكلنا نعلم أن ازمة نفسية اعترت الشبيبة الأوربية وانتهت بالكثيرين منهم الى الانتحار أثر نشر ذلك الكتاب . واذا ما ترك الناس يقرأون القصص فقد ينتج عنها انحلال مرضى شبيه ببعض ذلك الذى أصاب شبيبة فرنسا فى بعض عصور الأدب المنحل . واذا ما ترك الناس يقرأون بلا مرشد ، فان هذه الوسيلة قد تكون من أشد الوسائل فتكا بما تشيعه من تعلق بالاوهام ، والتماس البطالة ، وانحلال الخلق ، والتحرر من التقاليد الصالحة ، وقد أصبحنا فى عصر لا يحتمل اضاعة الوقت والجهود فى مثل هذا اللهو والعبث .

ومع ذلك كله ، فما الى هذا قصدت ، حينما أردت أن أبين علة عناية المكتبة الحديثة بالقصة ، وإنما كنت أرمى الى أننا لن نتعلم كيف نقرأ اذا لم نقرأ القصص ! (١) لأننا ان قصرنا

1-H adly : Making the most of books, A.L.A. p111-

القراءة على الكتب المدرسية ، فسوف تورثنا البطء حيثما لا يجب ، ومعظم العوائق التى تعوقنا عن الاقبال على المكتبة ترجع الى أننا تعلمنا من الكتب المدرسية كيف نقرأ ، فلم نجد القراءة سائغة شيقة كما نجد ذلك فى القصص ، واننا لم نستطع ان نقرأ فيها بتلك السرعة التى نكتسبها بقراءة القصص.

هل القراءة فن ؟

كيما نختار كتاباً يجب أن ننقده ، وهذا لا يتأتى الا بأن نعرف كيف نقرؤه .

وكثير من الناس يسمعون عن القراءة والقراء الممتازين فيرون أنهم أمام أصحاب ملكات خارقة للعادة فهل هذا صحيح؟

يحدثنا القراء الممتازون أنهم لا يلقون أية صعوبة فى مطالعاتهم ، ما دامت تتفق مع ميولهم . والواقع انهم ينسون الايام الاولى التى بدأوا يتعلمون فيها هذه العملية الذهنية التى نجدها عملية عقلية معقدة من الناحية السيكولوجية ، اذا ما أردنا تحليلها .

وتختلف القراءة سرعة وبطء ، وسطحية وعمقاً ، وسهولة وصعوبة ، حسب عوامل متعددة ، منها درجة التعلم بوجه عام ، ومدى التخصص والالمام ، ومدى الميل الى الموضوع الذى يعالجه كل كتاب ، كما تختلف حسب الغرض والغاية المنشودة من القراءة . فمن يقرأ للتسلية غير من يقرأ للدرس والنقد وهكذا .

وقد حلل أدلر فى كتابه السابق الذكر (كيف نقرأ كتاباً) عملية القراءة الى مراحل ثلاث وان كانت متداخلة بحيث يصعب أن يميزها من تعود القراءة وسهلت عليه .

والمرحلة الاولى من هذه المراحل تحليلية نعرف فيها الكتاب ككل . ثم نسير من هذا الكل الى أجزائه وفى هذه المرحلة نقف على نوع الكتاب ، وموضوعه على التحديد ، والغرض الذى يرمى اليه الكاتب ، والاجزاء التى ينقسم اليها الكتاب ، والمشاكل الاصيلة التى يحاول حلها . ومعنى هذا أننا نعرف الكتاب وموضوعه وفصوله الرئيسية ككل ثم ننتهى الى الاجزاء .

فاما المرحلة الثانية فهى مرحلة تكاملية او تأليفية . فهى عكس الاولى التى بدأت بالكل وانتهت بالأجزاء . وفى هذه المرحلة يقف القارىء على اجزاء ادق واكثر تفصيلا من الكتاب . فهو يعنى بالكلمات الهامة ، والجمل المعبرة والفقرات التى تتركز فيها أغراض الكتاب وغايته واسلوبه وشخصية الكاتب ومنهج علاجه للموضوع . وهو يفعل كل ذلك بالتفصيل ليرد هذه الأجزاء الدقيقة الى الكتاب ويربط الجزئيات بالكليات فاذا كانت المرحلة الأولى تقف عند تحديد المشكلة التى عرض لها الكتاب فان المرحلة الثانية تنتهى بالوقوف على ما بذل من جهد وما أعمل من فكر ، ومدى ما أصاب من توفيق ونجاح فى حل المشكلة بعد النفاذ الى اعماقها .

فاما المرحلة الثالثة فهى مرحلة الحكم والوزن والتقدير ،

أى هى مرحلة النقد الذى لا يجب ان يقف عند حدود الكتاب، وانما هو يقارنه بغيره من الكتب التى كتبت فى الموضوع وفى مثل المستوى الذى كتب فيه الكتاب. ولذلك فالناقد يحتاج الى دراسة سابقة وخبرة بالموضوع كما هو معلوم فى النقد.

وقد لاحظ أدلر فى التجارب التى أجراها على القراء ان تعلم القراءة يسير فى تقدم مطرد سريع بحيث تكون النتائج مبشرة بالنجاح الكامل فى أول الأمر، ثم لا تلبث هذه السرعة ان يعقبها هبوط يؤدى الى اليأس فى بعض الاحيان. والواقع ان عملية تعلم معقدة مثل القراءة، او حتى عملية معقدة تغلب عليها الآلية كتعلم الكتابة على الآلة الكاتبة من شأنها ان تسير على هذا النحو، فيجب ان نذكر ان التراجع هو جزء من السير الطبيعى لاكتساب هذه العادة المعقدة التى تبدو سهلة عند من اعتادوها.

وفى كتاب «هيدلى»، السابق الذكر، فى نفس الصفحات التى سبقت الاشارة اليها، نجد تحليلا آخر للعوامل التى تعوق عملية القراءة مثل وضع الجسم وحركته، وحركة الاعضاء الصوتية التى تعمل، ولو كنا نقرأ بلا صوت، كما تعوق حركة العين التى تريد ان تفحص كل كلمة على حدة بينما الواجب ان تقتصد فى حركاتها وان ترى الكلمات فى مجموعات ولا تراها متفرقة. ومن العوائق التى أشار اليها (هيدلى) كذلك مدة الفهم. فمن تعود القراءة يتعرف على الكلمة بمجرد رؤيتها فى مجموعات، وكذلك يعوق عدم إدراك المرء رسم الكلمات. فالخبير بالمطالعة يميز رسم

الكلمات الكثيرة الاستخدام فى لمحة خاطفة كما يدرك اهمية الكلمات ذات الدلالة والتعبير النفاذ عن الموضوع فى لمحة كذلك .

ألا ترى معى ان القراءة فن معقد يسهل إذا عرفنا كيف نتعلمه ؟.. ومع ذلك لن ننتظر الكتب التى تعلمنا إياه وإنما لنبدأ فى قراءة ما يحلو لنا فى سرعة خاطفة لنعتاد السرعة .. لنقرأ القصص فهى خير ما يبدأ به المرء فى هذا المضمار ... وحبذا لو كنا نتعامل مع مكتبة تفهم وتقدر وتستطيع القيام بواجباتها إترشدنا فى هذه الآفاق الشاسعة .

ميزان الكتب ونقدها ؟

هل من جديد فى النقد الذى نعرفه ؟ وهل هناك محك معين تقاس عليه الكتب التى تعرض علينا او التى تكتب عنها الصحف الخاصة والعامة ؟

نحن نعرف النقد الأدبى الذى ينصب على الأدب بشعره ونثره مع اختلاف المدارس الكلاسيكية، والحديثة، وهى التى تعنى بتحليل عناصر الأدب وبيان ما فيها من جمال وفن. كما نعرف مدى اختلاف النقاد ومدى التباين فى نظرياتهم من حيث عناية البعض بالاسلوب او الصور الفنية او الفكرة. ونعرف ايضاً اهتمام بعضهم بعناصر الابداع والخلق، ورد الفن الى اصوله الجمالية وملابساته النفسية، وهذه المدارس مثل ما نجده فى الأدب العربى والأوربى

مثل مذاهب سانت بيف، وليمتر، وماتيو أرنولد، وريتشاردز، وأبركرومبي، وغيرهم. ولا شأن لنا بهم لاننا لا نقصر نقدنا على الأدب وحده. ولا نعمم أحكامنا على القديم والحديث، وانما نقصرها على الحديث الجديد من الكتب. ولا شأن لنا بالنقد الأدبي مرة أخرى لاننا بصدد حيز محدود من النقد فليس علينا - ونحن نختار كتباً للمكتبة - ان نقرأ مجلدات فى نقد كتاب واحد، لانه فضلا عن استحالة هذا الامر فى الكتب الجديدة، فان وقت عملنا محدود، وعلينا ان نختار كل عام للمكتبة آلافاً من الكتب.

فالنقد الذى نعنيه هو ما يطلق عليه Review وهو يتعلق بالكتب الجديدة وحدها على نحو ما يظهر فى الصحف السيارة والمجلات العامة والخاصة. وهو نقد سريع يظهر خصائص الكتاب ومميزاته التى يتفوق بها على غيره والمستوى الذى يعالج به المؤلف موضوعه. واذا كنا نجد ذلك اللون من النقد قاصراً عندنا محدوداً، فى صحفنا، فاننا نجده فى الغرب شاملا متعدد الجوانب واسع المدى. وحسبنا ان نعلم ان الصحف الكبرى فى الولايات المتحدة مثل نيويورك تيمس، ونيويورك هيرالد تريبون وشيكاجو صن، وغيرها، تصدر ملاحق اسبوعية يوم الاحد، تخصص لنقد الكتب الجديدة. وكذلك الحال فى الصحف الأوربية الكبرى، مثل جريدة التيمس بلندن. والملاحظ فى مثل هذه الملاحق الصحفية أنها تبلغ أحياناً خمسين صفحة ولا تقل عن ثلاثين وهى عادة فى حجم يعادل نصف حجم صحيفة

الجريدة العادية أو اقل قليلا . ومع ان هذه الملاحق عامة إلا انها ذات فائدة بالغة عميقة فى التنبيه الى الجديد من الكتب، على انها لا تسجل كل الكتب الجديدة كما تفعل مثلا Book Review Digest وهى التى تشير الى ميزات كل الكتب الجديدة فى جمل قليلة واضحة ، على ان التوسع فى مثل هذا النقد حين يحتاج اليه فى الموضوعات الخاصة ، يرجع اليه فى المجلات الخاصة بذلك، والتى تعنى بتسجيل التطورات الفكرية فى باب اختصاصها مثل المجلة الآتية، التى تعنى بالادب والفنون الادبية Saturday Review of Literature التى تصدر بنيويورك، او مثل ما تفعل على نطاق أضيق مجلتى Sciense Nature فى النواحى العلمية. ويلاحظ ان هذه المجلات التى تعنى بالنقد غير الفهارس الدورية التى تقتصر على مجرد تسجيل الكتب او تسجيل محتوياتها والتى سأشير اليها فيما بعد .

والمشتغل بالمكتبة ، والمهتم بالكتب الجديدة ، يجب أن يلم بالنقد وأساليبه ومقاييسه التى سنعرض لها، كيما يختار الكتاب على أساس صحيح ، دون ان يخدع بالنقد المزيف ، المتأثر بالاعلانات أو بعوامل أخرى غير قيمة الكتاب نفسه ، مثل التأثر بمكانة الصحيفة أو مكان دار النشر أو مكانة المؤلف وشهرته وصلته بالناقد . وقد لا يفطن من يختار الكتاب الى قصور النقد ، أو تعصبه أو التعجل فى كتابته .

ويجب أن يلم خبير المكتبة بمقاييس النقد، لأنه من واجبه

هو أن يكتب نقداً موجزاً عن بعض الكتب للمكتبة ، وذلك حين تعد نشرات من هذا القبيل عن الكتب الممتازة ، أو حين تنشر او تذيع على الناس نبذات عن هذه الكتب ترغيباً وتحبيباً فى الاقبال عليها.

فأما النقد الموجز annotation الذى يمائل هذا الذى تحتاجه المكتبة فى الغالب فهو مقتضب بالغ الايجاز لا يتعدى خمسين أو ستين كلمة على الأكثر ، فى حين أن النقد الصحفى قد يشمل صفحتين أو ثلاث من تلك الصحف الضخمة . وان كانت العناصر فى كل من النقدين متشابهة أو واحدة لا تختلف إلا فى الحجم والعرض .

والموجز من النقد عبارة عن عرض سريع مقتضب لبيان موضوع الكتاب وخصائصه، والاشارة إلى روحه وأسلوبه، ومداه وقيمته . فما اشبه ، فى اقتضابه المعبر ، بالصور الكاريكاتورية التى ليست غير خطوط سريعة تلخص خصائص الشخصيات . ولذلك فكثيراً ما تستخدم بعض ألفاظ المؤلف المعبرة ، أو جملة من جمله القوية الدلالة على موضوعه ، إلى جانب إشارات الناقد عن الكتاب .

وإذا كان هذا النقد يكتب تحت البيانات الرئيسية عن الكتاب ، كاسم المؤلف ، وعنوان الكتاب ، وناشره ، ومكان النشر ، وعدد الصور والرسوم ، والحجم ، وعدد الصفحات، فليس ثمة ما يدعو إلى تكرار هذه المعلومات فى

صلب النقد نفسه، اللهم إلاّ اذا كان جزءاً من هـــذه البيانات الرئيسية غير واضح . ومثل ذلك أننا لو فرضنا أننا بصدد نقد كتاب (تاريخ انجلترا) لماكولى (١) ، فيجب أن نبين فى صلب النقد أن هذا الكتاب إنما يقتصر على دراسة سبعة عشر عاما من تاريخ انجلترا فحسب. ولو لم نفعل ذلك استناداً على عنوان الكتاب ، المذكور فى صدر البطاقة ، لكان تقصيراً ونقصا .

وليس معنى الاقتضاب فى النقد الموجز ان يكون باهتا شاحبا لا طعم له ، كأن يكون عاما من الممكن ان يطلق على آلاف الكتب . وذلك مثل قول الناقد « ان قراءة هذا الكتاب ، إنما هو مشاركة فى أبرع مخاطرات التاريخ كلها »

وإنما يكون النقد معبراً ملخصا قوياً نفاذا مثل النقد التالى لرواية (الفلاحين) (٢) لريمونت ، وهى إحدى الروايات التى نالت جائزة نوبل (مجال حسن لتصوير حياة الريف البولونى ، هائمة فى تفاصيل دقيقة لوصف جمال مشاهد الطبيعة فى فصول السنة ، وعقدة القصة تتركز فى الاحساس القوى بحب الارض وتنافس الابن وأبيه فى الهيام بامرأة واحدة ، غير ان الاهتمام بتصوير أفراح الريفيين وولائمهم لا تقل عن الاهتمام بوصف حب الأرض ، تلك هى الملحمة ذات الأربعة مجلدات التى نالت جائزة نوبل) .

1&2-Helen Haines livig with books, p. 124- 144

ولكن ما هى معايير النقد التى أطلنا الحديث عنها ؟

لكل من الكتب الجدية من ناحية ، والقصص من ناحية أخرى، مقاييس مختلفة يحاولون حصرها (١) .

فأما الكتب الجادة الموضوعية التى تشمل العلوم والفنون والدراسات الأدبية والتاريخ والعلوم الاجتماعية وكل ما هو بصدد دراسة موضوعية فانها تقدر من حيث : مادتها، ومدى الثقة فى المؤلف، ومميزات الكتاب الموضوعية ، ومميزاته الشكلية.

ومن حيث مادته فنحن ندرسه لنلتمس الاجابة على الأسئلة الآتية :

ماهو موضوع الكتاب ؟ وما هو مدى اتساع نطاق البحث فنعرف ما إذا كان يدرس الموضوع جميعه أو هو يعرض لنقطة معينة أو لجزء منه ؟ وهل يعرض الكتاب نظرية معينة أو يقترح علاجا عمليا للمشكلة أو هو يقتصر على الحقائق ويسوق الحجج الجدلية ؟ وهل يعرض للموضوع فى إقتضاب أو هو يتوسع فيه ؟ وهل يعالجه فى ثوان أو يتحيز لنظريات معينة فيه ويقتصر عليها مجافيا روح الاعتدال ؟ وهل يعالج الكتاب الموضوع علاجا واقعيا أو يعرض له نظريا تجريديا؟ أهو كتاب فنى خالص لا يصلح إلا للمختص، أم هو شعبى عام ؟ أم هو بين بين ؟ وإلى أى قارىء يمكن أن يساق ؟ أللتلاميذ أو للمعلمين، أو للقارىء العادى أو للمختصين ؟ وما هو تاريخ نشر

1-Helen Haines, Living With Books p. 44.

الكتاب حتى تستوثق من قيمته اذا كان يعالج ناحية علمية من الضرورى أن تكون متتبعة للحديث الجديد من البحوث؟

أما مدى الثقة فى المؤلف فتتوقف معرفتها على بحث :

مؤهلات المؤلف وتعليمه ومرانه وثقافته ؟ وهل رجع الى المصادر الأصيلة لبحثه أو رجع الى مصادر ثانوية ؟ وهل يقوم موضوعه على البحث العلمى الخالص او على ملاحظاته الشخصية ؟ وهل هو دقيق فى بحثه ؟ وهل يلم بالعصر الذى يكتب عنه، او بالنظريات التى يعالجها ؟ واخيراً نبحث هل هو متعصب اومتزمت ، او هو تقليدى محافظ ؟

وأما مميزات الكتاب الموضوعية فنحن نبحثها لنجد جوابا عن:

هل يبين عن قدرة مبدعة وملكة خالقة ؟ وهل هو يتميز بالاخلاص والصراحة ؟ وهل ترتيب الموضوع مناسب للفكرة ؟ وهل للمؤلف إصالة فى تعبيره ؟ وهل اسلوبه سهل واضح،او هو جذاب شائق،او عميق،او خيالى ؟ وهل الكتاب الذى نحن بصدده قادر على البقاء ؟

واما مميزات الكتاب الشكلية فيظهرنا عليها بحث ما يأتى :

هل للكتاب معجم خاص بالأعلام والموضوعات بالدقة والتفصيل ؟ وهل يحتوى على رسوم أو بيانات أو صور لازمة للتوضيح ؟ وهل شكل الكتاب متميز وورقه صالح ؟

* * *

وللقصص معايير فى نقدها بحيث ينطبق عليها الكثير مما قلناه عن الكتب التى ليست خيالية وليست قصصا ، مضافاً اليه التماس الاجابة على طائفة من الاسئلة التى يمكن التوسع فى بحثها فى غير هذا المكان (١) ولباب هذه المقاييس يتلخص فى الاجابة على :

هل تتميز القصة فى نوعها من حيث هى تمثل لونا واضحا من الواقعية او الرومانتيكية أو هى تنحو منحى نفسيا أو هى قصة مرحة ؟

وهل هى مطابقة للواقع أو هى مبالغة فى الناحية العاطفية أو هى منحرفة أو شاذة ؟

وهل هى متماسكة الشخصيات من ناحية تصويرها (٢) لهم ؟ أو هل تعنى بدراسة نفسيات الأبطال وتحليلها كما هو الحال فى روايات مارسيل پروست واندريه جيد وشارل موراس واندريه موروا الى حد ما ؟ وهل العناية بدراسة للنفسية تدعو

---

١ : Helen Haines : What is a Novel.

٢ : للتمثيل لذلك راجع (نماذج بشرية) و (فى الميزان الجديد) للدكتور محمد مندور وخاصة فى نقده لقصة نداء المجهول لتيموربك.

الى تطبيق النظريات العلمية بدقة ملفقة لا تتفق مع الابداع الفنى كما هو الحال فى قصص بول بورجيه ؟ وهل تكشف من وراء شخصياتها عن معان انسانية عميقة أو صادقة او موحية بالمشاركة الوجدانية ؟

وهل عقدة القصة أصيلة الحبكة أم هى سهلة مختلفة و محتملة ؟

وهل تثير فى النفس افكاراً واحساسا عميقا بالحياة، او هى لمجرد انفاق الفراغ ؟

هل هى من هذا الضرب الذى يبدو تافها، لانه يعالج توافه الحيـــاة، ومع ذلك يوحى من وراء بساطته بمشاعر زاخرة وافكار عميقة ؟

معرفة الكتب الجديدة

كيف السبيل إلى معرفة كل كتاب ظهر والوقوف على كل جديد فى عالم الكتب والمطبوعات؟

لم يتح لنا بعد فى الشرق العربى ان نجد فهارس دورية تسجل جميع ما نشر سواء فى موضوع خاص، أو جميع ما نشر على نحو عام شامل ، وهذا نقص لا يمكن اغفاله والسكوت عليه .

واذا كانت بعض الصحف اليومية أو المجلات الاسبوعية او الشهرية عندنا تعنى بنقد الكتب الجديدة ، فانها إنما تفعل ذلك لا على سبيل الاحصاء ، بل هى تقتصر فى الغالب على

الكتب التى تهدى اليها ، او التى لمؤلفيها بالنقاد صلات ، أولهم شهرة وصيت. وكثيراً ما تغفل الصحف الاشارة الى الكثير مما يصل اليها. وكيفما كان الأمر فان هذا النوع من النقد ليس شاملا كافيا. فهو لم يقصد به أن يكون سجلا للنقد وقفا عليه، حتى يمكن الرجوع اليه فى المكتبات حيث يعنى الباحثون والمؤلفون ومن اليهم بالاهتداء إلى مراجع فيما يحتاجون الى بحثه والاطلاع عليه.

وقد قامت إدارة التسجيل بوزارة المعارف بعمل سجل للكتب التى صدرت خلال عامى ٤٧، ٤٨ فى سجلها الثقافى.

وكذلك استبانت الهيئة الثقافية لجامعة الأمم العربية أهمية وجود فهارس دورية تسجل الكتب الجديدة فى العالم العربى فأزمعت اصدار شبه مجلة من هذا القبيل كما أذاعت ذلك ضمن اغراضها الثقافية لتحقيق التعاون الثقافى بين البلاد العربية.

ونجد فى الغرب الفهارس التى من هذا القبيل متعددة متباينة ، منها ما هو عبارة عن قوائم الكتب المختارة فى فترة معينة مثل (فهرس اتحاد المكتبات الامريكى للمكتبات الشعبية) الذى صدر عام ١٩٠٤ ثم صدر ١٩١٢ حتى نشر عام ١٩٣٣ فهرس فى نفس المستوى ، ولكنه يزيد على سابقيه انه يعرض لنقد وعرض موجز لكل كتاب.

ومثل هذه القوائم قائمة « شو » عن كتب الكليات والجامعات التى نشرها اتحاد المكتبات الامريكى عام ١٩٣١. وكذلك قائمة كتب المدارس الثانوية التى اعدها (زايدى براون)

ونشرها ويلسون ، الناشر الذائع الصيت للفهارس والمراجع ، عام ١٩٣٢ .

ومثل هـذه القوائم مختارة. فهى ليست شاملة ، بل لطائفة محدودة ولمستوى معين من القراء ، وانها تقف عند تاريخ بالذات ، لانها تختار الكتب فى فترة معينة . واذا كانت اهميتها حين ظهرت لا يمكن انكارها ، فانها اليوم تستطيع أن ترشدنا فى مجال البحث عن كتاب صدر فى الفترة التى تبحث فيها كل قائمة ، بحيث يكون هذا الكتاب فى المستوى الذى تختص به كل منها .

والى جانب هذه القوائم توجد دوريات أو مجلات تختص اما بمجرد تسجيل الجديد الذى ظهر ، او قد تضيف الى كل كتاب كلمة عن محتوياته ، وقد تصدر اسبوعيا مثل « نشرة الناشرين الاسبوعية » .

1-Publisher's Weekly, Bowker Comp., N. Y.

وتتضمن الكتب الجديدة مع عرض موجز لها ، وتضم بعد ذلك عند الناشر ليصدر منها فهرس الناشرين السنوى .

وتصدر المجلة الآتية فى فترة أطول

Book Review Digest, Wilson, N. Y.

وهى تعرض لنقد الكتب كذلك . وتجمع منها لدى الناشر مجلدات بحيث تكون مرجعا لكل كتاب صدر فى السنين الماضية ، الى جانب فائدة النشرة فى الابانة عن الكتب

الحديثة التى صدرت فى الفترة التى ظهرت فيها . ومعنى ذلك ان مثل هـــذه الدورية إذ تجمّع بمجلداتها تعد مرجعا من أهم المراجع عن تسجيل الكتب ونقدها فى الأعوام السابقة . كما ان النشرات الحديثة تفيد فى اختيار الكتب الوشيكة النشر الحديثة الصدور .

ومن هذه الدوريات

Cumulative Book Index, Wilson, N. Y.

وهو فهرس دورى يصدر كل شهر ، وكل ثلاثة أشهر ، وكل ستة ، وكل سنة ، وتباع منه مجلدات عن عدة أعوام سابقة تصلح كمرجع يسجل الكتب التى صدرت عن هذه الأعوام .

وهذا الفهرس نافع فى الافادة عن اسماء الكتب ومؤلفيها وموضوعاتها ويقتصر على تسجيلها دون نقدها ، ويعتبر من عيون المراجع وأشملها عن الكتب التى صدرت بالانكليزية فى أمريكا وانجلترا وغيرها .

* * *

وتوجد هناك دوريات وفهارس عن الموضوعات الخاصة ، كالطب والهندسة والأدب وما الى ذلك ، وليس هنا مجال الاشارة اليها ، لاننا نعالج فصولا عامة عن اهمية المكتبة ، لا للمختصين المتوفرين على البحث الخاص .

وتوجد مثل هذه الدوريات فى جميع البلاد الأوربية ، وما ذكرنا غير أمثلة لتوضيح أهميتها ومدى حاجتنا الى العناية بها .

الخبرة بالنشر والطباعة :

مازلنا نحبو فى ميدان النشر ، وقيمة النشر ووظيفته ليست بالأمر الهين. فالناشر — على حد تعبير (جون مورلى) فى كتابه « ذكريات » — ما هو غير السلطان المسيطر على دولة الأدب ، وهو لا يقل بحال عن رجل الدولة .

ولست بحاجة الى القول بأن النشر مساير فى تطوره للتطور الثقافى والاجتماعى ، وعلى كل من يريد ان يدرس الأدب الحديث وتاريخه ان يعنى بتطور النشر .

وقد تطورت هذه الصناعة فى الغرب فوصلت الى أرقى درجاتها وأوسع سلطانها بحيث صار لها ولأصحابها من الوجاهة الاجتماعية ما استطاع معه (جون هاربر) صاحب دار النشر الأمريكية ، الذائعة الصيت المعروفة باسمه ، ان يصير عمدة لمدينة نيويورك . وهذا يعطينا مثلا واضحا على مدى صدق قول مورلى عن سلطة النشر وسلطانه .

واذا كنا فى المكتبة نعنى بالكتب وهى ثمرة من ثمرات النشر كما هى من ثمرات العقل والفكر ، فيجب ان نلم إلماما بماهية هذه الصناعة ، ونشاطها وسياستها وأشهر دورها ومؤسساتها ، والخطة المتبعة فى الدعاية والاعلان ، والبيع وحقوق الناشر ، وحقوق المؤلف ، واختصاص كل ناشر ، والنواحى ، التى يعتمد عليه فيها ، فبعضهم يعنى بالكتب العلمية

البحتة ، وفريق يعنى بالفنون العملية ، وثالث يعنى بالقصص وما إليها . بل نجد من هذا الفريق الأخير من يعنى بالقصص الرائع القديم ، ومن يعنى بالقصص البوليسى ، ومن يعنى بالطبعات الرخيصة من عيون القصص وما إلى ذلك .

كما ان بعض الجامعات تعنى بنشر كتب خاصة ، مثل جامعة شيكاجو واهتمامها باذاعة كتب فى الثقافة المكتبية ، إلى جانب عنايتها بألوان أخرى من العلوم ، وكذلك جامعة كولومبيا .

وهناك هيئات خاصة تنشر مايتعلق بنواحى اهتمامها ، واختصاصها ، مثل اتحاد المكتبات الأمريكى ، الذى ينشر معظم ما يصدر من الكتب عن الدراسات المكتبية فى أمريكا .

وهناك الأندية الخاصة مثل نادى كتاب الشهر الذى يوزع كتبا خاصة للمشتركين بالاتفاق مع بعض الناشرين الآخرين بأمريكا .

وهناك المنشورات الحكومية المختلفة التى تصدر عن دواوين الحكومة ومصالحها ومعاملها المتباينة . وهذه منها مايباع ومالا يباع . وتحتاج إلى تخصص لدراستها ، وخاصة فى بلد تتعقد فيه وتتشعب وتتباين هذه المطبوعات مثل أمريكا ، ولتحقق ما أذهب اليه ، يمكن قراءة كتاب « المنشورات الحكومية » لبويد .

ويمكن لمعرفة اختصاص الناشرين قراءة فهرس « السوق الأدبية » وهو كتاب سنوى تصدره دار « باوكر » للنشر

بنيويورك، كما يمكن الرجوع إلى كتاب هارپر عن صناعة النشر، وكتاب ميريك (أوليات فن اختيار الكتاب).

* * *

ومما يرتبط بهذه الصناعة الاهتمام بحقوق التأليف (١) وما له من تاريخ وثيق بتطور السياسة ونظم الحكم وطابع الحضارة. ففى القرون الوسطى كان من المحظور نشر ما هو مخالف للدين. ثم استبد بعض الحكام فصارت هذه الرقابة السلاح الذى يقضون به على مالا يتفق نشره مع ميولهم وسلطانهم، واتجه الحظر إلى ما يرمى الى إثارة الرغبات الجنسية، وما لا يتفق مع الحد المرعى من الآداب. ولا زالت الدول متأثرة بالتقاليد الجارية، والآداب العامة فى كل ما تبيح نشره بين الناس.

ويقال أن أول من نادى بحقوق التأليف هو مارتن لوثر، لا لرغبة فى الكسب المادى، وإنما لانه كان يخشى أن تنشر كتبه محرّفة. وبدأ الاعتراف بهذه الحقوق بأن كان يختم كل كتاب أجيز نشره بخاتم الحاكم.

---

(١) دائرة معارف العلوم الاجتماعية، الجزء الرابع ص ٤٠١، ٤٠٢

وانتظمت حقوق التأليف فى انجلترا سنة ١٩١١ بقانون يضمن حفظ حق المؤلف أثناء حياته ، وإلى خمسين سنة بعد وفاته ، ولو أن القانون يتساهل فى طبع الكتاب بدون الحصول على موافقة ورثة المؤلف بعد مدة أقل مما نص عنها . ويقضى هذا القانون بايداع نسخة من كل كتاب يطبع فى الامبراطورية البريطانية فى المتحف البريطانى.

وفى عام ١٨٨٧ عقدت اتفاقية (برن) بين عدد من الدول الاوربية. فلم تكن منها الصين ولا روسيا ولا الولايات المتحدة الامريكية ويتضمن الاتفاق احترام حقوق التأليف فى كل الدول الموقعة .

وأما فى الولايات المتحدة، فان حقوق التأليف لها قصة وتاريخ يتجلى فيه مدى اعتداء الناشر والطابع على حقوق المؤلف . فنحن نعلم أن النشر كان قاصراً فى بادىء الامر على الكتب الانجليزية ، حتى إذا تكونت عناصر القومية فى البلد الناشىء، بدأ الاقبال على كتب المؤلفين الامريكيين ، الذين لم يكن لهم من الثقافة والقدرة ما يستطيعون معه منافسة الكتاب الانجليزى . فما لمس الناشرون ذلك ، حتى بدأوا السطو على الكتب الانجليزية فطبعوها طبعات رخيصة ، تجد الرواج والذيوع لرخص ثمنها ، مادام الناشر لا يدفع للمؤلف الانجليزى شيئا اذ ليست له حقوق تبعا للقانون الامريكى .

وكاد المؤلف الامريكى الناشىء أن يموت ، مادام الناشر والطابع ينافسه بآثار ومؤلفات المؤلف الانجليزى الناضج ، فصار كل من المؤلفين مهضوم الحق مهيض الجناح .

ثم كان تشريع عام ١٨٩١ ، وآخر عام ١٩٠٩ لحفظ حقوق التأليف ، ولكن على شرط أن يكون الكتاب المكتوب باللغة الانجليزية مصنوعا فى أمريكا . فالكتاب الانجليزى الذى لا يصنع فى أمريكا لا تحترم حقوق تأليفه ، إذ لا يكفل القانون الامريكى لمؤلفه حقوقا . ولذلك فان الكثير من الكتب الانجليزية تصنع فى أمريكا وبريطانيا فى وقت واحد لتسجل فى واشنطن ولندن معا . ومعنى ذلك أن هناك قيوداً ثقيلة لحفظ حقوق الكتاب الانجليزى الذى يطبع فى خارج أمريكا .

هذه أمثله مما يلقى خبير المكتبة من مثاكل تختلف باختلاف حقوق التأليف فى مختلف الدول .

* * *

وتاريخ تسجيل حقوق التأليف يبين مدى حداثة مادة الكتاب ، ولا يبين ذلك تاريخ الطبع ، ويجب حين نفحص كتابا يهمنا أن تكون مادته مسايرة للتطور العلمى ، أن نهتم بتاريخ تسجيله لا بتاريخ طبعه .

ويجب أن نفرق كذلك بين الطبعة المعادة للكتاب والطبعة المباينة لطبعاته السابقة ، التى يضيف اليها المؤلف مادة جديدة أو رسوما أو توضيحات ، أو أى جديد عما فى الطبعات السابقة .

وهناك الطبعات المزينة بالرسوم ، والطبعات الفاخرة ، والطبعات المختصرة ، والطبعات التى تحوى شروحا . وكثيراً ما يضطر المشتغل بالكتب أن يكون على شيء من الخبرة لتقدير هذه النواحى فى الكتاب الذى يعرض له .

* * *

ويجب كذلك ، فى مجال اختيار الكتب الجديدة ، أو فحصها بوجه عام ، أن نلم بالطباعة وألوانها ، والورق وأنواعه ، وما إلى ذلك . وقد ارتقت الطباعة فى الغرب بحيث صارت وسيلة من وسائل تهذيب الذوق وإرضاء النزعات الجمالية . وذلك بما استحدث من آلات وفن . ولم يعد يطلب فى فن الطباعة أن يقدم الكتب للعاديين من الناس وحدهم ، بل لطوائف أخرى مثل كتب ضعاف البصر والعميان الخ .

وتتلخص مميزات طباعة الكتاب المنشود فيما ذكره « ماك ميرترى » فى الكتاب الذهبى « حيث قال « دعنى أرى فى ثنايا الغد الكتاب الموعود ، على ألا يتجاوز حدود النزعة العملية ، وأن يكون سهل التناول ، يسير القراءة . وأن تكون مواد صناعته جيدة ، فى غير إسراف ، وأن يكشف جمال إخراجه عن يد صناع مفتن » .

جولة حول المعرفة

« ... فقال لأهله امكثوا انى آنست ناراً ، لعلى آتيكم منها
بقبس ، أو أجد على النار هدى »
« قرآن كريم »

لقد واتتنا الأنباء أخيراً بأن لجنة من أعلام الأدب فى بريطانيا قد عهد اليها باختيار نيف وعشرين كتابا من عيون الكتب الأدبية الانجليزية القديمة، وذلك تمهيداً لعرضها على هيئة اليونسكو لتختار منها، ومن غيرها من آداب الأمم، لتترجم الى لغات غير التى وضعت بها تلك المؤلفات.

ومهما يكن الأمر، فان قرار اللجنة أثار دهشة وجدلا، حتى لقد سخر منه كثير من النقاد وطوائف متباينة من الشعب البريطانى. وهذا أمر طبيعى، ما دمنا بصدد كتب أدبية تقديرية، تختلف تبعا لتباين الامزجة.

والملاحظ على الكتب العظيمة بوجه عام أنها تتضمن هذه النزعات الانسانية الجمالية، حتى ولو كانت كتبا علمية. ومعنى ذلك هو أن هذه الكتب، والأدبى منها بوجه خاص، قلما يتفق الناس إتفاقا اجماعيا عليها، وعلى قيمتها. وهكذا نجد أنه ان يجمع الكل على خير عشرة كتب، أو أفضل مئة كتاب، من الكتب العظيمة فى الأدب خاصة.

* * *

وانى اذ أختار طائفة من الكتب فى كل لون من ألوان المعرفه إنما أفعل على هدى من سبقنى، أعنى أنى أختار من قوائم أعدت بالفعل كيما تتدارس بين المشتغلين بالمكتبات، لتكون مرشداً لهم فى تقديرهم واختيارهم، وتكون كذلك دافعا لهم على تملكها فى مكتباتهم ليفيدوا بها الناس.

ومعنى ما أقول من ناحية أخرى أن خبير المكتبة ليس هو بالقارىء الممتاز فحسب ، وانما هو رجل فنى مختص ، والقراءة إحدى مميزاته البارزة، وفى الالمام بعيون الكتب ما يعينه ويهديه.

وليس الهام هنا هو ذكر طائفة من أمثال الكتب الرائعة فى كل باب من أبواب المعرفة، كما يمكن أن يفعل ذلك كل قارىء ممتاز مثقف ، وانما نحن نبغى أن نشير الى الطرق الفنية للاختيار عن طريق الفهارس والمراجع الدورية ، وغيرها . ولعل ذلك يكون باعثا لبعض الهمم على الابتداء بالغرب فى هذا الفن فنعنى بعيون الكتب العربية ، قديمها وحديثها ، ونبصر بقيمتها ونفتح العيون على أهميتها فى كل حال .

أما عن الاختيار نفسه، فما هو غير محاولة، أو مثال موجز فى كل فرع، قد لا يرضى عنه الخبير فى ذلك الفرع ، فيرمينا بالجهل. ولكننا لا نحاول ذلك إلا فى نطاق المكتبة الشعبية العامة ، الجديرة بأن تجمع شتيت المعارف لتجعل منها غذاء شعبياً ، بدلا من أن تبقى تلك المعارف قصراً على أصحاب الأبراج العاجية من المختصين وأفذاذ العلما..

* * *

ولما كان على الخبير بشئون المكتبات أن يختار الكتب ويزنها بميزانه ، فيجب أن يلم بألوان منها وأن يقف على أشهر الكتب فى كل باب ، وأعظم الترجمات لكل كاتب، وكل كتاب عظيم ، وأعيان المترجمين وخصائص كل منهم .

ولو أننا تأملنا الأدب الروسى المترجم الى الانجليزية أو الفرنسية لوجدنا أن لمؤلفات تشيكوف، القصصى الروسى الذائع الصيت فى عالم القصة القصيرة ، ترجمات متعددة ، بعضها يتميز بالدقة وبعضها الآخر يمتاز بالسهولة فى الأسلوب واللغة . كما أن الالمام بمشاهير المترجمين يوقفنا على حقائق باتت بديهية لطلاب الآداب والمشتغلين بها . فلو حدث أن التمسنا ترجمة لأعمال أدجار ألن پو بالفرنسية ، أو لو وجد شخص يجيد كل من الفرنسية والانجليزية وأراد الاطلاع على مؤلفات أدجار پو، لاستطعنا ان نقدم له على الفور هذه المؤلفات بالفرنسية . لاننا يجب ان نعلم قبل هـذا وذاك ، ان بودلير الشاعر الفرنسى الفذ ، قد ترجم مؤلفات پو الامريكى بحيث صارت الترجمة ابدع من الأصل ، وذلك لتشابه كل من پو ، وبودلير ، فى كثير من الميول الشاذة ، واساليب الخيال ، والحياة النفسية التى عاش كل منهما فى ظلالها وهذا مثل فريد قلما يتكرر ، لأن العبقرية فردية بحتة فمن النادر ان تتفق عبقريتان على هذا النحو . مثل هذه الحقائق فى الترجمة يجب ان تدرس ويلمها المشتغل بالعمل المكتبى .

والخبرة بعيون الكتب تتمثل فى ألوان متعددة منها :

كتب السير

« إننى احيا للذين يحبوننى ويحسنون معرفتى »

« ج ل . بلانكس »

ومن عيون كتب التراجم والسير وحياة الأفذاذ فى التاريخ ماهو

جدير بأن نلم به فى هذا الباب . ومن الضرورى لمن يريد أن يختار الكتب فى هذا المجال أن يقف على تطور فن كتابة التراجم ، واختلاف المدارس وتباين أساليب المعالجة تبعا لاختلاف الشخصية المترجم لها، ونواحى تميزها، ودواعى شهرتها. ومن الكتب التى عالجت دراسة فن كتابة التراجم :

1-Cook, Sir Edward : Literary Recreations.
2- Maurois, André : Aspects of Biography
3-Nicolson, Harold : The Development of English Biography.

ويجب أن نقدر أهمية النواحى النفسية فى دراسة عبقرية الفرد وابداعه وطبعه الموروث ، والصلة بين عمله وبين حياته النفسية .

ومن ناحية ثانية، يجب أن نلم - الى جانب العوامل الوراثية، بالنظريات الاجتماعية التى تبين التأثير المتبادل و التفاعل بين الفردية والحياة الاجتماعية فى عصرها.

وثمة حقيقة يجب ألا نهملها وهى أننا بتفاقى عصر ديمقراطى لا يقصر التراجم والسير على المتميزين الأعلام وحدهم، وانما هو يلتمس السيرة الحسنة للمواطن الصالح . فالفرد العادى الممتاز هو موضوع جدير بالدراسة والتحليل ، ولعله يكون أقرب الى نفوس جمهرة الناس من هؤلاء الأعلام . هكذا دخل عنصر جديد فى عصرنا الحديث فى موضوع التراجم ودراسة السير كما ظهر فى ضروب أخرى من الادب ، كاتجاه الأدب الروسى

والقصة الروسية التى تصور الحياة كما هى، وتصور عامة الناس وأحط الطبقات، ومثل تطور المسرحية التى لم تعد قاصرة على حياة العظماء والملوك الذين وصفهم شكسبير، وقصر عليهم مسرحياته، وانما صارت تصور حياة الأفراد العاديين بفضل آباء المسرح الحديث، مثل إبسن وبرنارد شو ومن اليهما.

على أن ذلك لا يجب أن يغمط حق تراجم العباقرة والأبطال. فهى فضلا عما توحى به الى النفس، وفضلا عما تكشفه لها من نواحى انسانية، فهى ذات أهمية تربوية من حيث أن حياة العظيم ما هى غير جزء من عظمته. فما سير العلماء غير جزء من الفن كما يقول جماليل برادفورد. هذا فضلا عما توحى به السيرة نفسها الى قلوب الناس وعقولهم مما يخصب الحياة ويثرى الشخصية.

ومن عالم التراجم الزاخر بعض من تراجم الاعلام لأنفسهم مثل «الاعترافات» لروسو، و«حياة جون ستيورات مل» بقلمه، و«حياة ايزادور دنكن» بقلمها وهذا الكتاب الأخير لون طريف فى دنيا التراجم، كتبته الراقصة العالمية عن حياتها ويعتبر عملا أدبيا رائعا.

ومن شوامخ التراجم، «تراجم أغريقية رومانية» لبلوتارك و«سيرة شارلوت برونته» لكاسكيل، و«سيرة جلادستون» لمورلى، و«جون كيتس» لكولفن، و«بيرون» لا.

موروا ، و « الملكة فيكتوريا » لستراشلى ، و « سيرة پاستور » لرينيه فالرى رادو .

وتتميز التراجم تبعاً لعوامل مختلفة ، منها شخصية المترجم له ، ومدى سهولة العثور على وثائق وحقائق عنه .

ثم يتوقف الأمر بعد هذا على الكاتب نفسه .

ولو قارنا كتاب « نابليون » لاميل لودفيج وهو الذى ترجم منذ فترة ليست بالبعيدة الى العربية ، بدراسة ستيفان زفيج « لبلزاك » مثلا ، لوجدنا أن الاختلاف فى المنهج يرجع الى شخصية وأسلوب كل من الكاتبين الذين ينحدران من جنس وأصل واحد ، ولكن بينما يعنى لودفيج بالتفاصيل التاريخية ويبالغ ، نرى زفيج معنى بالناحية النفسية ، يجد المدخل الموصل إلى بواطن الشخصية وحياتها ونزعاتها .

والخلاصة أن الترجمة اصبحت فنا ولونا مستقلا من ألوان الأدب وفنونه ، وصارت لها أصول وقواعد ، ولكن لا يجب أن تقف معرفتنا عند مجرد دراسة نظرية للأصول والقواعد بل يجب أن نلتمس فى كتابات الافذاذ وأعلام الكتاب للسير مثلا يمكن أن نحتذى ونستخلص منه نحن الأصول والقواعد . فلكى تكون لنا خبرة فى هذا الباب وما يماثله من الدراسات الأدبية النفسية والاجتماعية يجب أن نلم بعيون الكتب والتراجم التى كتبت فعلا ، دون أن يغض ذلك من شأن كتب النقد والدراسات لفن كتابة السير .

فى آفاق الآداب

«الادب لا ينسخ صورة الحياة وإنما هو يحلل غاياتها»
«اوسكار وايلد»

نعنى بالأدب خصائص جمالية فى الأسلوب بغض النظر عن الموضوع، وعلى هذا النحو يمتد الأدب بخصائصه الجمالية إلى أى أفق آخر من العلوم والتاريخ والفلسفة، مادام المهم فى الموضوع هو الخصائص الجمالية، ذات الطابع الانسانى، لا الموضوع نفسه.

وقد رأينا أن كتابة السير باتت لونا يكاد ان يستقل عن الأدب البحت. وفى الواقع أن ألوان هذا الأدب تميزت فى الغرب وأصبح لها دراسات مستفيضة بمراجعها ودراساتها. وقد صار هذا الأدب البحت ينقسم إلى الشعر والقصص والمقالة والتمثيلية، تبعا للشكل والمنهج الذى يتخذه كل موضوع من هذه الموضوعات تميزاً له عما عداه.

ولما كانت الكتب الأدبية، بوجه عام، ترجع فى نقدها إلى معايير تقديرية، أى ذوقية، غير مستقرة مطمئنة إلى دعائم ثابتة كما هو الحال فى العلوم الطبيعية مثلا، فان من الصعب الحكم المطلق على كتب معينة بانها خير الكتب. ففى الحق ان مشكلة الاختيار فى هذا المضمار شاقة تبعاً لتباين الأمزجة واختلاف

الذوق، ولذا فسوف نوجز القول ونحدده مكتفين بالاشارة إلى الفهارس والقوائم، ما اتسع المجال إلى ذلك.

ولصعوبة إمكان التقدير المطلق فى قيمة هذه الكتب وأمثالها، وخاصة فى فنون الأدب الأرستقراطى، كالشعر والعميق من الألوان الأخرى، سنقتصر على ذكر المراجع فى هذا الباب.

وكثيراً ما يكون لشهرة الكاتب والكتاب الأثر الفعال فى إقبال الناس عليه.

ولا شك أن الجوائز الادبية التى تمنح، تجعل للكتاب مكانته مما يهيء له الانتشار والتقدير. وهذه الجوائز لدينا منها جائزة فؤاد الاول فى العلوم والآداب والقانون، وجوائز هيئات ثقافية أخرى مثل مجمع فؤاد الاول للغة العربية، ووزارة المعارف العمومية، وغيرها من الهيئات.

وفى الغرب نجد أن مثل هذه الجوائز أقدم عهداً مما لدينا، كما انها أوضح فى تحديد مميزات الكتاب الذى يمكن أن يقدم للفوز بالجائزة. فجائزة نوبل تمنح سنويا منذ عام ١٩١٠ فى الآداب والعلوم، مشترطة أن يتوفر فى المؤلف أو البحث، النزوع الى المثالية والتمسك بالمثل العليا للسلام والانسانية. فلم تكن رواية (الأم) لبيرل باك، الكاتبة الأمريكية ومؤلفة (الأرض الطيبة)، خير رواية ألفت، حينما منحت هذه الجائزة فى إحدى السنوات السابقة للحرب العالمية الأخيرة. ولكنها كانت أظهر

ألوان القصص نزوعا الى السلام والمثالية ، بما صورت من بؤس الحياة وشقاء وفقر الاحياء فى البلاد الصينية ، التى كانت جيوش اليابان تجتاح أراضيها فى ذلك الوقت . وقد قرأت فى الصحف أخيراً أن « موريتس ديكر » المؤلف المسرحى الهولندى ، قد ألف تمثيلية « ليس للعالم داع للانتظار » وموضوعها عن الشرور التى يمكن ان تنجم عن استخدام القوى الذرية فى سحق الحياة وابادة الاحياء . ومثل هذه القصة قد لاقت من النجاح فوق ما انتظره صاحبها وفوق ماقدره القائمون بأمر المسرح ، لأنها صادفت الوقت الذى شعر فيه الناس بما يتهددهم من ويل وشرور ، إثر اذاعة الانباء مؤكدة وصول روسيا الى تحطيم الذرة .

ولا يستبعد مطلقا أن تنال مثل هذه القصة جائزة نوبل التى تشترط نزوع العمل الادبى الى غايات انسانية الى جانب توفر الشروط الفنية .

وتمنح جائزة « بولتزر » منذ عام ١٩١٧ ، لخير المؤلفات تمثيلا للروح الامريكى فى آفاق الأدب كالشعر والتراجم والتمثيلية

وهناك جائزة (هوثورندن) التى تمنح سنويا منذ عام ١٩١٩ للكاتب الانجليزى الذى يكتب خير مؤلف أدبى ، على ان يكون دون الاربعين . وكذلك ترجع جائزة « جيمس تيت بلاك » الى تاريخ نفس الجائزة السابقة ، وهى تمنح لخير عمل ادبى ظهر فى

باب منه، فاذا كنا بازاء المقالة فلنعرف مكانة مونتني في أدب المقالة . وكيف أنه دعم اسسها بأن أعطاها الطابع الشخصي وأشاع فيها الجو الصريح الذي يسبغ عليها لونا من الألفة والاخلاص بحيث جعل نفسه موضوع كتابه « المقالات » ذلك الاثر الانساني الرائع الذي أخرج المقالة من اسلوب اصطناع الوقار والتحذلق والنصح والارشاد مما لم يعد ملائما لروح العصر .

واليوم كثيرا ما يعجب القارىء الحديث بمن يتخذ من اخطائه ونفسه موضوعا للسخرية، فتلك هي الصورة السائغة التي يستطيع الناس أن يروا اخطاءهم في ضوئها . وقد يضحكون من المؤلف وهم يشعرون أنهم قد اندمجوا معه في مجالي نفسه وشاركوه مشاركة وجدانية فيما يسوق عن شخصه فيرون فيه نفوسهم، فان ضحكوا أو سخروا فانما يسخرون منها .

فالمصارحة والمشاركة الوجدانية من الامور الاساسية في الحكم على المقالة الحديثة التي تختلف فيها النزعات والاتجاهات . فالبعض يصطنع منهجا نفسيا، يسجل فيه هواجس النفس . والبعض تغلب عليه الافكار الفلسفية أو الدينية أو الفنية مثل « جاليل براد فورد » و « ارنست نيومان » و « رسكن » و « هكسلي » وغيرهم ممن اقاموا صرح المقالة من مختلف وجوه الحياة وصورها، من رحلات الى رياضة تسلق الجبال، الى عمل الحديقة أو عمل المنزل، الى موائد الغذاء، أو مجالس العائلة، الى ملايين الصور التي تزخر بها الحياة.

وللمقالة فهارس مثل تلك التي يرجع لها في آخر هذا الكتاب .

إنجلترا كل عام ، ولكنها لا تقصر دخول المسابقة على سن معين. كما نجد عشرات الجوائز فى أنحاء العالم الاوروبى وغيره .

* * *

ومن الضرورى، لاختيار الكتب الأدبية الاهتداء بالفهارس المتعلقة، إما بالأدب عامة، او بلون خاص منه . الى جانب كتب المراجع فى الادب وفنون وعيون كتب تاريخ الادب، ونظريات النقد . ومن هذه المراجع مثل ما أشرنا اليه فى آخر هذا الكتاب تحت عنوان مراجع ادبية .

كما يجب أن توفر مثل هذه الفهارس والمراجع فى كل فرع من الادب، من تمثيلية الى شعر الى مقالة فتدل عليها وعلى اسماء مؤلفيها أو تدل على انتاج مؤلفين بالذات . أو غير ذلك من وسائل الاستعلام ، وذلك كله للاسترشاد بهذه الكتب وأمثالها فى الاختيار والاهتداء .

والى جانب هذا يجب الالمام بأشهر الكتب الاصيلة فى كل

شوامخ التاريخ

« ما الحياة غير تاريخ »
شكسبير

اذا كنا بصدد بحث فترة أو حادثة معينة فى التاريخ فيجب أن نذكر ما ذكره « تيرجارت » فى كتابه (نظرية التاريخ) ص ١٧ حيث قال « إن التاريخ يسجل أحداثاً لها بداية ووسط ونهاية ، وأول ما يلفت نظر المؤرخ هو الحدث ، ولكن المشكلة التى يواجهها كل مؤلف هى ، كيفية الربط والتوحيد المتجانس بين عناصر غير متجانسة »

ومن ثم ، فالحادث يختلف من حيث تأثيره العقلى وانارته لمتباين التصورات تبعا لتباين الأشخاص ، كما يذكر ذلك جورج سانتيانا فى كتابه « الاحساس بالجمال » ص ١٤١ ، ١٤٢

وعليه ، فان استحساننا لكتاب معين فى التاريخ عن فترة معينة ، لا يدل على خلوه من الاخطاء ما دام الأمر مختلفاً باختلاف المؤرخين ، ولذا لزم وجود الخبرة فيمن يختار مثل هذه الكتب ، مع الالمام بها ، وامتلاكه لقدر من المعرفة يستطيع على ضوئه اختيار كتاب من بين عشرات الكتب .

وتختلف مذاهب المؤرخين ومناهج مدارسهم . فهناك المدرسة القديمة التى يمثلها برسكوت ، وماكولى ، وموتلى . وهم الذين غلب عليهم النزوع الادبى والمشاعر الشخصية فى مؤلفاتهم ؛

وأما المدرسة الحديثة ، فهى تحاول أن تكون موضوعية ، وأن تتجرد من تلك المشاعر الذاتية وتحاول الأخذ بالنظريات الاجتماعية التاريخية التى تلتمس استخلاص نتائج الحوادث لتبرز نوعا معينا من الحضارة أو طابعا خاصا من المدنية . ويمثل هذا الاتجاه الاخير فى أبعد صوره (ويلز) فى كتابه « موجز التاريخ » فهو يؤلف تأليفا ممتازاً يتلاءم مع شعبية القارىء المعاصر ويصور الأحداث التى مهدت للعصر الحاضر.

ومن الكتب الممتازة فى التاريخ، (برستيد) فى تاريخ مصر القديمة، و (بيرد) و (هنرى آدامز) فى تاريخ الولايات المتحدة ، و (توماس كارليل) عن الثورة الفرنسية، و(جيبون) و (بيرس) عن الامبراطورية الرومانية ، و (ميشيليه) فى تاريخ فرنسا ، و (ماكولى) فى تاريخ انجلترا ، و (ميشو) عن الحروب الصليبية . ومن الكتب العامة التى تتجه إلى فلسفة الحضارات ، انحلال الحضارة الغربية (لشبنجلر) ، والحرية مقابل النظام (لرسل) ، وأصول فرنسا المعاصرة (لتين) ، ودراسة للتاريخ (لتوينبى) .

روائع العلوم

« إن فى حقائق العلوم ما هو أقوى إثارة للخيال من روائع الأدب » « هالدان »

لقد تطور العالم القديم بأساطيره وفلسفته ، والعالم الوسيط

الديني المتعصب الذى كان يرى كل شيء خلال الدين وبمنظار الايمان وأصبح العالم اليوم يدين بالواقع ودراسته ، التى تأخذ نفسها بالمنهج الوضعى القائم على الملاحظة والتجربة والاستقراء لتكون النتائج قائمة على الوقائع ويمكننا أن نلمح للشوط السريع الذي قطعه العلم فى ميدان البحث فى السبعين سنة الاخيره ، فقد بلغ من سرعته أن ما قطعه فى تلك الفتره يفوق جميع ما انتهت اليه الانسانية من درس وبحث مدى آلاف السنين السابقة التى تؤرخ حضارة الجنس البشرى .

ولو أننا لم نقتنع بهذا الكلام ومدى ما فيه من صدق وحاولنا الوقوف على ذلك التقدم على نحو ملموس ، فقارننا بين ما نجده عن الذرة أو عن الالكترونات أو الراديو فى دائرة المعارف البريطانية فى طبعة سنة ١٩١٠ ، لعجبنا لمدى ضآلة معارفنا لذلك العهد عن هذه الموضوعات التى صار ينشر ويذاع عنها عشرات البحوث كل شهر لتضيف الجديد الى ما نعرف .

واذا كان (فهرست البحوث العلمية) الذى أخرجته الجمعية العلمية الملكية بلندن مسجلا كل ما اجرى من بحوث علمية بين عامى ١٨٠٠ و ١٩٠٠ ، قد شغل تسعة عشر مجلداً ، فاننا نجد أن البحوث والمطبوعات العلمية التى اجريت منذ بزوغ القرن العشرين حتى اليوم تحتاج الى مائتى مجلد . وهى لن تشغل من فروع العلوم إلا سبعة عشر فرعاً فقط لو قدر لها أن تخرج فى هذا الحجم الذى يعتبر على ضخامته ضئيلا اذا كان عليه

أن يشمل الابحاث العلمية جميعا . واذا عرفنا أن دورية تعنى بذكر ملخصات مانشر فى علم الاحياء مثلا، ترجع الى مايقرب من خمسة آلاف دورية مطبوعة كيما تستوعب حداً معقولا من البحوث التى تنشر عن علم الاحياء، لكيما تلخصها وتذيع نتائجها على الباحثين والدراسين فى انحاء الارض ، لأمكننا أن نتصور مدى هذا التقدم ومدى الجهود التى يجب أن تبذل كيما نساير هذا الركب الزاحف قدما نحو كشف الحقائق ، وهو ركب لن يقف فى أكبر الظن، إلا بانتهاء الانسان نفسه .

ولسنا إذ نعرض للعلوم وأشهر الكتب فيها بصدد كتب للخاصة ، لأننا افترضنا أننا نعالج هذا الموضوع على نحو أعم وأشمل . فنحن نختار الكتب للمكتبة العامة فى هذا الفصل.

ولسنا نذيع جديداً اذا ما ذكرنا ان الكتب العلمية تختلف فى طريقة عرضها للموضوعات ، فمنها المدرسى ، ومنها الجامعى ، ومنها العام ، ومنها الشعبى ، ومنها ما يمتاز بالسبق والقاء الضوء على حقيقه ما زالت فى طور الكشف . كما يجب أن تقدر على ضوء مؤهلات المؤلف ومباحثه السابقه ودراسته التى أهلته لكتابة البحث . ولنتذكر أهمية حداثة هذه الكتب لأن القديم لا قيمة له إلا فى حالات خاصة . كما لا يفوتنا ان الكتب العلمية تكون أغلى ثمنا من غيرها ولذا يجب التدقيق فيها قبل شرائها .

وليس هنا مجال الاشارة الى أهمية الفهارس الخاصة بالعلوم والابحاث العلمية بالتفصيل ولكن يجب أن نذكر « فهرس الابحاث العلمية » الذى نشر بواسطة الجمعية الملكية بلندن وقد ذكر الابحاث التى تمت بين عامى ١٨٠٠ و ١٩٠٠ ، « والفهرس الدولى للأبحاث العلمية » الذى يسجل البحوث التى أجريت بين عامى ١٩٠٢ و ١٩٢١ ، والذى نشرته الجمعية الملكية بلندن كذلك .

وقد نشر مجلس البحوث القومى بواشنطن فهرس الكتب التى نشرت فى العلوم والفنون العملية والطب حتى عهد قريب .

وفى كل فرع من فروع المعرفة والفنون توجد فهارس للكتب الجديدة يمكن الرجوع لها فى « دليل كتب المراجع » لمادج .

ومن أمثلة الكتب العلمية التى تصلح لقراءة المثقفين بوجه عام ، دراسات عن موضوعات العلوم الطبيعية « لدراهام » ، و : الحياة النفسية للحشرات « لبوفيه » ، و : لماذا تغنى الطيور « لديلمان » ، و : الحياة فى دنيا الحشرات « لفابر » ، و : النحل « لجوليان هكسلى » ، و : الحياة فى الغابة « لثورو » ، و : أصل الانواع « لدارون » وله أيضا : نظام الطبيعة ، و : عالم الضوء

« لبراج » ، و : حقيقة طبيعة الحياة « لادينتجون » ، و « هالدان » له : العلم والحياة الانسانية ، و : الكون من حولنا « لجينجز » ، والنسبية « لبرتراندراسل » ، و « لسيدجويك » : مختصر تاريخ العلوم ، و « لتيرنر » : رحلة فى المكان ، و « لوياز » وآخرين : معرفة الحياة ، و « هوايتهيد » له : العلم والعالم الحديث ، و « لاميل ميرسون » القيمة التوضيحة للعلم ، و « لكلود برنار » مقدمة لدراسة الطب التجريبى.

ومن الكتب التى يقبل عليها الناس سلاسل - « أبلتون سنشرى » عن العلوم ، وسلسلة كتب « اليوم والغد » التى يصدرها « داتون » وكلها امريكية.

العلوم الاجتماعية

خلت أنى فى الغاب أصبحت وحدى
فاذا النـــاس كلهم فى ثيـابى
« إيليا أبو ماضى »

يقصد بالعلوم الاجتماعية دراسة الظاهرات الانسانية فى المجتمعات ، فهى شبيهة بذلك الذى أسماه إبن خلدون فى مقدمته بعلم العمران . وتشمل الظاهرات الاقتصادية والدينية والتربوية واللغوية والسياسية والقضائية والجمالية ، أدبية كانت أو فنية ، وكل ما يجرى من حياة المجتمعات ، متطورة ومستقره . غير أن النظرة الامريكية لا تكتفى بقصر هذا الباب على الناحية النظرية ، بل تضيف اليها الاصلاح الاجتماعى ، والخدمات الاجتماعية ، والمؤسسات التى تعنى بعلاج المشاكل الاجتماعية بحيث تحتل هذه التطبيقات العملية مكانا أوسع من ذلك الذى يشمل الدراسة النظرية البحتة .

وإذ ألقينا نظرة على تقسيم ديوى لوجدنا أن علم الاجتماع العام لا يشمل غير جزء من ضمن أجزاء العلوم الاجتماعية مثل الاحصاء ، والعلوم السياسية ، والاقتصاد ، والقانون ، والادارة الحكومية والجيش ، والمؤسسات الاصلاحية ، والتعليم ، والتجارة والاعمال ، ووسائل المواصلات ، والازياء ، والعادات والتقاليد العامة . واذن ، فمن المبالغة ، ونحن نتتبع هذا التقسيم

فى حديثنا عن المعرفه ، أن نقصر القول على علم الاجتماع العام ، كما أننا لا نستطيع أن نتكلم عن هذه الثروة الانسانية الضخمة من العلوم والفنون وأشهر كتبها فى هذا الحيز المحدود.

وقد لوحظ الاقبال على هذه الدراسات إبان الأزمة الاقتصادية الامريكية ، فهبطت نسبة قراءة القصص فى الوقت الذى ازداد فيه الاقبال على هذه الدراسات الاجتماعية وفروعها وخاصة المباحث الاقتصادية ، فصارت منذ ذلك التاريخ تحتل مكانة ممتازة فى عالم القراءة . وهذا الاتجاه يفسر مدى عناية هذه الدراسات فى أمريكا بالواقع والمشاكل الحيوية الموجودة التى تحاول بحثها بحثا موضوعيا واقعيا قائما على الملاحظات والاسئلة والاحصآت ، وما الى ذلك من أساليب منهج البحث الاجتماعى للظاهرات والمشاكل . ويعتبر الاصلاح الاجتماعى وألوانه ، مثل الخدمات الاجتماعية ، ضمن ما يدخل فى هذا المجال . ولما كان من الملاحظ فى بلادنا ارتفاع نسبة القراءة نسبيا ، وازدياد الاقبال والعناية بمثل هذه الدراسات ، فيجب أن نمهد السبيل لارضاء هذه الميول الاجتماعية ، ليلمس الناس مشاكلهم على أساس علمى بما نقدم من كتب .

وليس لنا فى هذه النبذة أن نتحدث عن أشهر الكتب الفلسفية الاجتماعية ، مثل مقدمة ابن خلدون ، أو الفلسفة الوضعية لاوجسط كومط ، أو كتب أميل دوركايم ، وليفى بريول ، من أعلام المدرسة الفرنسية الاجتماعية . ولا من

مهدوا لها ، مثل مونتسكيو فى كتاب روح القوانين ، وتين فى دراسته الأدبية التاريخية . ولا من تأثروا بها مثلا فى تفسير الأدب والفن ، مثل جيوه ولالو .

وكذلك ليس لنا أن نقف عند كتب أخرى مهدت لدراسة المجتمعات المثالية مثل جمهورية أفلاطون ، أو المدينة الفاضلة للفارابى أو المدن الخياليه الأخرى التى يمكن أن نلتمسها عند كامبانيلا وتوماس مور . كما لا يتسع المجال لأن نقف عند مؤلفات سبنسر ، وآدم سميث ، أو عند نظريات علم النفس الاجتماعى التى مهد لها تارد ، أو عند نظريات أخرى بالغة فى أصالتها فى مثل كتاب « فيلفريدبا ريتو » المسمى (العقل والمجتمع) .

لا نريد أن نقف عند هذه الكتب ، التى أصبحت كلاسيكية والتى تكفى الاشارة اليها ، نظراً لاختلاف المدارس ووجهات النظر . ويمكن قراءة كتب تمهيدية حتى لا يضل القارىء المبتدىء فى ساحة المكتبة الشعبية ، وهذه الكتب مثل كتاب ليسترورد « الاجتماع التطبيقى » ، وجينزبرج « علم الاجتماع » ، وبارنز « تاريخ واتجاهات العلوم الاجتماعية » ، رداڤيز « التيارات الاجتماعية المعاصرة » ، وماكايفر « المجتمع » ، ولينـد « تطور المدينة » .(١)

---

(١) راجع الاسم بالانجليزية فى قائمة المراجع بآخر الكتاب

وقد ظهر حديثا كتاب سنة ١٩٤٩ لجونس اسمه «الأسس الاجتماعية الرئيسية».

على أننا لا يمكننا إغفال أهمية كتب الدكتور على عبد الواحد التى نشرت فى سلسلة الجمعية الفلسفية والتى تعطى فكرة عميقة، فى غير توسع، عن المشاكل التى عالجها، مما يجعلها ذات أهمية خاصة فى هذا المضمار وهى «العائلة والمجتمع»، و«المسؤولية والجزاء»، و«اللغة والمجتمع»، وهى كتب فريدة من نوعها فى العربية.

أريد أن أذكر بأهمية ما تنشره الهيئات من النشرات والرسائل الموجزة، والاحصآت، والتقارير، وحتى نشرات الاعلانات، التى قد لا تخلو من فائدة فى بعض الأحيان. وهذه كلها تظهرنا على أحدث ما انتهت اليه هيئات البحث والدراسة والاصلاح من تطور فى علاج المشاكل الاجتماعية ودراستها.

وهذه المؤسسات مثل مؤسسة كارنيجى بواشنجطن، ولها ولمطبوعاتها مكانة ممتازة، كما أن مطبوعات منحة كارنيجى للسلام العالمى جعلت المكتبة الاجتماعية زاخرة بأدق ما بحث فى هذا الموضوع منذ سنة ١٩١٠ حتى الآن. وقل ذلك أيضا عن نشرات مؤسسة راسيل سيج فى ميدان الخدمات الاجتماعية التى تصدر منذ سنة ١٩٠٧ حتى الآن. وقله كذلك على نشرات كل من الجمعية الأمريكية للدراسات الاجتماعية ونشرات مجلس مباحث الدراسات الاجتماعية، وغيرها من الهيئات الاجتماعية التى تقترن دائما بالاصلاح مثل مؤسسات الصحة العامة وعلاج

مشاكلها ، ومشاكل الطفولة والتشرد ، ومشاكل الابناء غير الشرعيين ، ومشاكل الاجتماع الريفى ، وتعنى به جمعية الاجتماع الريفى بجامعة ولاية كارولينا الشمالية بمدينة رالى بأمريكا ، ولتقارير ومنشورات البيت الأبيض عن المشاكل الاجتماعية شأن كبير فى هذا المجال . كما يمكن أن نجد مثل هذه النشرات عند الهيئات المماثلة فى انجلترا والدانيمارك والسويد والنرويج . ولمطبوعات هيئة الأمم أهميتها فى هذا المجال .

وفى المكتبة العامة يجب أن نحرص على ان نقتنى مثل هذه النشرات ونعرضها ونبين أهميتها ، وخاصة ما كان منها مقتضبا مبسطا ، ويمكن أن تتأكد الافاده منها بربطها ببرامج المحاضرات والنشاط الثقافى الاجتماعى الذى تقوم به المكتبة العامة لعلاج وعرض مشاكل المجتمع .

ومن مراجع وفهارس هذا الباب التى تعين على تحديد قيمة الكتب ، دائرة معارف العلوم الاجتماعية التى نشرها ماكملان (١٩٣٠ — ٣٦) ، وفهرس لندن للعلوم الاجتماعية الذى نشرته مدرسة لندن للعلوم الاقتصادية ١٩١٣ ـ ٣٤ ، وكتاب الفهارس فى الفصل الرابع لفان هاوزن (انظر مراجع هذا الكتاب بآخره) . وكل من الفهرس الجامع لويلسون ، وقائمة كتب الولايات المتحدة التى تصدر كل ثلاثة أشهر عن مكتبة الكونجرس . وهذين الأخيرين فهرسين دوريين يعينان فى معرفة الكتب الجديدة فى هذه الموضوعات وغيرها ، والاخير ينقد الكتب الهامة نقدا معتدلا .

الديانات والفلسفة

«إننا نتفلسف كما نتنفس»

اميل ميرسون

« لقد فقدت إيمانى بالله منذ سنين ، ولكن هاهى أجراس عيد الميلاد تدق . . . انها تحمل شعاعا حبيبا من صباى . . . هيا لنحيى العيد »

جيته على لسان فاوست

يحاول كل من الدين والفلسفة أن يعرض لمشاكل ما بعد الطبيعة أى عالم الغيب ، وعالم الكون والفساد أى عالم الشهادة وفى موضوع عالم الغيب تدرس مشاكل مثل مشكلة الله ووجوده ومشكلة الروح وخلودها . وبينما تتخذ الفلسفة العقل والمنطق سبيلها الى معرفة الحقيقة عارية ، يلتمس الدين من الشعور وسيلة الى الايمان والتسليم المطلق بتعاليم الدين . فالفلسفة محاولة إنسانية عقلية جريئة على المتوارث من الايمان ، وهى كفاح وجهاد . فى حين أن الدين استسلام ورضى نفسى عن حقائق يرى من الخير أن يؤمن بها ليكافح الفرد والناس فى غير هذا السبيل الذى ما انتهى الانسان فيه ، بالعقل ، الى حقيقة معلومة مرسومة .

وفى مجال الدين نجد الكتب المقدسة أعلاماً فى هذا المجال. فالقرآن اعتبر آية إعجاز ببلاغته وتشريعه وحكمته ، والكتاب

المقدس بتحليقه الشاعرى وبصوره الخصبة ، وبما حوى من رواسب الحكمة التى رسبت على الدهور ، فى نهر الحياة ، كانت له مكانته على رأس الكتب الموحية التى الهمت الشعراء والفنانين فى الغرب .

وقد كانت ، وما زالت ، هذه الكتب وأمثالها من ديانات اليونان وأساطيرهم من أبعد الكتب تأثيراً وايحاء . فهى تترك المجال واسعا للخيال والفكر لتأويل الصور والمعانى . وكتب الديانات المقدسة هى بيادر حكمة الشرق ، وصورة من أحلام وديانه المقدسة ، وصحرائه اللانهائية التى تلهم بالوحدانية ، كما يقول لامرتين فى بعض شعره ، الذى اقتبسه الكونت (كارادى فو) فى مقدمة كتاب له عن الاسلام . ومهما نكن فى عصر يلح بالمادة والحضارة المادية ، فلا شك أن مثل هذه الكتب ضرورية للانسانية ، لأنها تخاطب فيها عاطفة طبيعية ، كما هى ترسم للخيال أجمل الصور . بل إننا لأشد حاجة الى مثل هذه الكتب فى العصر الذى نحيا فيه . فهى تراث إنسانى خالد تستروح فيه النفس اذ تلقى ألوانا من الصفاء الروحى الذى يذهب بأكدار الحياة المعقدة ، والقيم المصطنعة ، والاضواء التى تتعب البصر وتجعل المر. يغفو عن هذا كله ، فى ضباب مقدس لتستيقظ روحه فى هذا الجو الزاخر بمعان وصور فى قليل من التصريح وكثير من التلميح .

واليوم نجد الاقبال على هذا اللون من الثقافة واضحا فى

الكتب التى لم يقصد من ورائها التعليم الدينى وخدمة أغراضه المباشرة . وغالبا ما تلقى الكتب التى يكتبها كتاب غير رجال الدين رواجا وإقبالا ، وذلك لما فيها من ربط بين الماضى والحاضر ، واظهاره فى ضوء جديد يجعله أقرب الى نفوس الأحياء وقلوبهم .

يقول الدكتور طه حسين بك فى مقدمة كتابه « على هامش السيرة » فى جزئه الاول « ... وإنك لتلمس هؤلاء الذين يقرءون ما كتب القدماء فى السيرة وحديث العرب قبل الاسلام فلا تكاد تظفر بهم . إنما يقرأ الناس اليوم ما يكتب لهم المعاصرون فى الأدب الحديث بلغتهم أو بلغة أجنبية من هذه اللغات المنتشرة فى الشرق ، يجدون فى قراءة هذا الادب من اليسر والسهولة ، ومن اللذة والمتاع ما يغريهم به ويرغبهم فيه ، فأما الادب القديم فقراءته عسيرة وفهمه اعسر وتذوقه اشد عسراً ... وأين القارىء الذى يطمئن الى قراءة الاسانيد المطولة والاخبار التى يلتوى بها الاستطراد وتجوز لغتها القديمة الغريبة عن سبيل الفهم السهل والذوق الهين الذى لا يكلف مشقة ولا عنء . »

« ذلك الى ان الادب القديم لم ينشأ ليبقى كما هو مستقراً ثابتا لا يتغير ولا يتبدل ولا يلتمس الناس لذته إلا فى نصوصه يقرءونها ويعيدون قراءتها ويستظهرونها ويمعنون فى استظهارها . إنما الادب الخصب حقا هو الذى يلذك حين تقرؤه لانه يقدم

اليك ما يرضى عقلك وشعورك ولأنه يوحى اليك بما ليس فيه ويلهمك ما لم تشتمل عليه النصوص ويعيرك من خصبه خصبا ، ومن ثروته ثروة ومن قوته قوة . وينطقك بما أنطق القدماء ولا يستقر فى قلبك حتى يتصور فى صورة قلبك أو يصور قلبك فى صورته واذا أنت تعيده على الناس فتلقيه اليهم فى شكل جديد يلائم حياتهم التى يحيونها وعواطفهم التى تثور فى قلوبهم وخواطرهم التى تضطرب فى عقولهم » .

وهكذا صارت اكثر الكتب انتشاراً فى هذا المجال هى الكتب التى تربط حقائق الماضى بالحياة الحاضرة وما يضطرب فيها من مشاعر واحاسيس ومشاكل فى ضوء العلوم والمعارف والأساليب المعاصرة ، وهذا يعلل شدة الاقبال على كتب التراجم التى أذاعها مشاهير الكتاب فى مصر عن أبطال الاسلام وأعلامه مثل تراجم العقاد وكتب هيكل (وعلى هامش السيرة) لطه حسين ، وخاصة فى بدء ظهور مثل هذا اللون الجديد فى الأدب العربى المعاصر .

وكتب المراجع العربية عن الاسلام عديدة متنوعة يحسن الرجوع فيها لخبير ، وليس لها فهارس مطبوعة تسهل لنا مهمة اختيار بعض منها كما نجد ذلك فى المراجع الأوربية حيث نجد (دائرة المعارف الاسلامية) وغيرها ، كما نجد دوائر معارف أخرى عن الأديان مثل (دائرة معارف الدين

والأخلاق) و (دائرة المعارف الكاثوليكية) و (دائرة المعارف اليهودية) .

ومن مصادر المتعة والمعرفة فى هذا الموضوع ما كتب عن أديان الشرق القديم كديانات بوذا وكونفشيوس وزرادشت، ومن مصادر المتعة والمعرفة كذلك الوقوف على الأديان البدائية وتقاليدها وأساطيرها فى كتاب مثل (الغصن الذهبى) لفريزر .

وتعد الفلسفة سجلا لتفكير البشر ومدى ما انتهوا اليه بالعقل عن الحياة والموت ، والخير والشر ، والجمال والقبح ، والصواب والخطأ . فهى تتضمن ما بعد الطبيعة ، وعلم الاخلاق وعلم الجمال ، وعلم المنطق وان اتجه الرأى الحديث الى فصل كل ما ليس متعلقا بما بعد الطبيعة عن الفلسفة .

والفلسفة ليست شعبية يسيرة الفهم سائغة لكل عقل . فيجب أن نختار السهل الواضح العام قدر الامكان من الكتب التى تكتب فى هذا الموضوع . ولذلك كانت السلاسل التى يصدرها بعض الناشرين فى الغرب ، فى هذا الافق العام الذى ينمو ويتجه الى التبسيط والتوضيح ، أكثر شيوعا من الكتب الاصيلة العميقة مثل كتب (سبينوزا) و (أرسطو) و (كانت) ومما يفيد فى هذا المجال قصص الفلسفة التى تعرض لتاريخها عرضا عاما أو التى تعرف بها . ومن هذه الكتب السائغة كذلك تلك التى تربط المشاكل الفلسفية بالحياة الجارية ومشاكلها .

واذا اعتبرنا علم النفس تابعا للفلسفه ، ولو فى مجال التقسيم المكتبى لفروع المعرفة لصرنا أمام أوضح لون من ألوان الفلسفة شيوعا وانتشارا ، وخاصة ما كان منه فى سلاسل قصيرة تدرس المشاكل الحيوية أو العملية مثل مشاكل السعادة والنجاح والتخلص من الألم وكيفية ادارة العمل ، وتنظيم الحياة ، والتغلب على الخوف والوهم وغيرها مما يدرس العوامل النفسية فى الحياة الاقتصادية والعائلية والاجتماعية والمهنية ، وما الى ذلك .

وقد سبقت الاشارة الى السلاسل الفلسفية ، التى هى شبيهة بما اصدرته الجمعية الفلسفية المصرية ، وما كان لها من أثر فى الاقبال على هذا اللون من المعرفة بما تحاوله من تبسيط وايضاح للحقائق والنظريات مع عرضها لها فى حجم معقول وبسعر معتدل.

ومن أمثال هذه السلاسل « السلسلة الفلسفية » التى هى جزء من سلاسل « مكتبة الطلبة الحديثة » التى يصدرها « سكربنر » الناشر الأمريكى ، وكذلك « المكتبة الفلسفية » التى يصدرها الناشر الشهير « ماكملان » وهى اكثر توسعا من الأولى . ويمكن الرجوع للفهارس العامة للوقوف على الجديد مما أذيع فى الابحاث الفلسفية ، كما يمكن الرجوع الى (قاموس لالانه) الفلسفى بالفرنسية للاهتداء الى مراجع فى الموضوعات الفلسفية ، كما يمكن الاستعانة به فى التعريفات وكذلك (بقاموس بولدوين) للفلسفة وعلم النفس ، وكذلك بقاموس « وارن » فى علم النفس .

ومن المراجع التى ترشد عن كتب فى علم النفس قائمة (شو) الخاصة بكتب الجامعات، ويمكن أيضا الرجوع الى كتاب (المراجع) لفان هاوزن ووالتر، فى الفصل السادس

ومن الهام أن نذكر الدورية التى تعنى بالملخصات فى هذا الموضوع وهى مجلة « مختصرات علم النفس ».

وهى دورية شهرية تشير الى الموضوعات الجديدة التى نشرت فى مجال هذا الفن سواء ما نشر فى المجلات أو الكتب، ويصدرها اتحاد علم النفس الامريكى. وفى مصر نجد « مجلة علم النفس » التى تصدر عن جماعة علم النفس التكاملى، وتنشرها دار المعارف، وهى تشبه المجلات المعتمدة فى الغرب من حيث اشارتها الى ما يصدر فى هذا الموضوع، ولا يفوتنا أن نشير الى ما سجله « السجل الثقافى » الذى نشرته ادارة التسجيل الثقافى بوزارة المعارف من كتب ظهرت فى مصر فى هذا العلم وفى غيره فى عامى ١٩٤٧، ١٩٤٨ وقائمة المعهد الفرنسى عن الكتب التى صدرت بين عامى ٤٢ و ٤٤.

ومن الكتب القيمة الشيقة، فى الغرب فى موضوعى الدين والفلسفة ماهو حقيق بأن تمتلكه المكتبة. ومثل ذلك « الاخلاق الى نيقوما خوس » لارسطو وقد ترجمه لطفى السيد باشا الى العربية. و « لماتيو أرنولد، الادب والرأى الملزم، واعترافات القديس أوغسطين، وتطور المعرفة « لبيكون » والطب الروحى

« لتوماس براون »، و « لاميرسون » مسلك الحيـــاة ، و « لابيكتاتوس » مقالات أخلاقية والمقال عن المنهج « لديكارت » وللأخير ترجمة عربية بقلم الاستاذ محمود الخضيرى . و « للقديس فرانسس » زهور القديس فرانسس الغضة، و « وليم جيمس » له المتباين من التجارب الدينية، ومقال عن الحرية « لستيوارت مل »، و « نيتشه » له هكذا قال زرادشت وله ترجمة عربية بقلم المرحوم الاستاذ فيلكس فارس. والافكار « لباسكال » ومحاورات أفلاطون مترجم بعضها الى العربية بقلم (الدكتور) زكى نجيب محمود ، وحياة المسيح « لرينان » ومقالات شوبنهور واكثر التراجم الانجليزية ملاءمة للقارىء العادى هى ترجمة سودرز .

ومن الكتب الحديثة الشيقه كتاب طريق الآلهه « لاتكنسون » والتطور المبدع « لبرجسون » وله أيضا « منبعا الدين والاخلاق » ولهما ترجمة عربية، و « ج. ه. برستيد » له فجر الوعى و « لويس برون » له العالم المؤمن ، و « جون ديوى » له كتب عديدة أهمها الطبيعة البشرية والسلوك، و « لارنست ديميه » فن التفكير، و « اهافلوك ايليس » كتاب رقصة الحياة و « لفريزر » كتاب الغصن الذهبى ، و « لجبران خليل جبران » : حياة المسيح ، و « لجوليان هكسلى » : دين بـــلا وحى ومطلب السعادة « لبرتراندراسل »، و « جورج سانتيانا » له : مذهب الشك وعقيدة الحيوان، ومخاطرات عقلية « لهويتهد » .

ولا أحب أن أكرر أن هذه ليست إلا مجرد أمثلة رائعة

للكتب السائغة فى أفق المكتبة العامة.

* * *

وأسهل مرجع يمكن الرجوع اليه فى هذا الصدد هو كتاب (فن اختيار الكتب) لهيلين هيز وهو الذى سبقت الاشارة اليه والذى كان جل اعتمادنا عليه فى هذا الباب.

وها نحن قد طوفنا بالمعرفة، كما فعل بروميثيوس القديم كما تخيله أحد مشاهير الكتاب المحدثين فى الغرب حينما ازمع الرحيل ليكشف عن عوالم جديدة فأقلع بشراعه يصارع موج البحار المظلمة، وبعد صبر ولأى وعناء لاحت له بشائر نور هاد وما اتجه نحوه حتى هبت عواصف البحر الثائر. وصارع البطل ولكن جبال الموج ما لبثت أن أطبقت بقوتها الصماء العارمة عليه وعلى رجاله. وكان ذلك حينما صار أقرب ما يكون الى النور المبشر بعالم جديد.

وها نحن قد طوفنا بالمعرفة فى تلك الجولة السريعة الخاطفة لا لنكشف عن عوالم جديدة انما لنذكر بها لعلها توحى بارتياد آفاق منها. ومع تنبيهنا الى أننا بصدد العامة لا الخاصة فقد لا نعدم ما تثيره هذه الاشارة الموجزة من سخط الخاصة فى كل فن.

ولولا ان الغاية هى تنبيه الى ما لدينا من نقص فى الفهارس والمراجع فى المكتبة العربية لخشينا بحر معرفة هؤلاء الخاصة حين يثور.

وهنا نشفق على انفسنا من مصير البطل القديم!

مراجع

1—A. L. A.
Post-war standards for public libraries, 1943.

2—Bostwick, A. E.
American public library, Appelton, 1929.

3—Branscomb, H.
Teaching with books, A.L A. 1940.

4—Bryson, L L.
Adult education, American Book Co., 1936.

5—Bryson, L.L'
The new Prometheus, Macmillan, 1941.

6—Cartwright, M. A.
Adult education, Ency. Britanica, 14th ed., vol. 1.

7—Chancellor, J. M.
Helping adults to learn, A.L A., 1939.

8—Columbia University, School of Lbriary Service,
Syllabus for study of college & university library service.

9—Columbia Un., S.L.S.,
Syllabus for study of fundamentals of library service.

10—Harvard University
General education in a free society, Har. Un. Press, 1945.

11—Harzeltine, A. I.
Library work with children W Ison, 1917

12—Humble, M.
Rural America reads, Amer. Ass. for adult education, 1938.

13—Joeckel, C B.
The Government of American public library, A.L.A 1935.

14—Johnson, A.
The public library, a people's universaity, Amer. Ass. for adult education, 1938.

15—Jones, E. K.
Hospital libraries, A. LA. 1939

16—Lamar, J.
The secondary school library (Bulletin, National of Secondary Education, Monograph 17.), 1932.

17 Learned, W. S.
The American public library and the diffusion of knowledge, Hartourt, 1924.

18—Lyle, G. R.
The administration of college library, Wilson 1944.

19—Lynd, R.S. & Helen Lynd.
Middlstown in transition, Harcourt, 1937.

20—Mc Colvin, L. R.
How to find out, National Book League, Cambridge University press 1948

21—Mc Colvin, L, R.
How to use books, Notional Book League, Cambridge Un. Press, 1948.

22 Mc Donald, G:
Educational motion pictures & libraries, A. L. A, 1924.

فهرس الموضوعات

صفحة

٣ الاهـــداء .
٤ هـــذا الكتاب . مقدمة .
٨ بروميثيوس الجديد . المكتبة فى الديمقراطية .
٣٧ من المعبد الى الشارع . فى تطور المكتبة الشعبية .
٥٤ مدرسة الحياة . خدمات المكتبة الشعبية فى التعليم .
٧٤ المكتبة ودعائم الغد . المكتبة فى التربية والتعليم .
٨٦ الصمت غير ممنوع . مكتبات الاطفال .
٩٦ خدمات و كتب المراجع .
١١٥ فنون المكتبات . اصولها فى الشرق والغرب .
١٢٨ فن اختيار الكتاب .
١٣٢ الـــكتب فى الميزان .
١٦٠ جولة حول المعرفة .
١٨٩ ثبت المراجع .
١٩٢ غرض الكتاب (بالانجليزية) .

يعتذر المؤلف عن بعض الأخطاء المطبعية التى وقعت فى هذا الكتاب .

طبع بمطبعة المحيط بميدان بركة الرطلى رقم ٦ ع

LIBRARY & SOCIETY

by

ABD ELSALAM SHEHATA
Librarian, Fouad National Research Council
Cairo, Egypt.

1949

The chief purpose of this book is to lead the reader to an understanding and appreciation of the wide and various opportunities which the modern library offers for culture, education and scholarship. Among the various types of libraries, this work emphasizes the role played by the public library to raise the social and educational standards in the community.

In its second part, this volume tries to explain what librarianship is, and what kind of knowledge and experience are needed for library training. To illustrate an interesting example of such subjects, the auther tries to deal more fully with the art of book selection.

The author, who was offered a scholarship by U. S. Government to study librarianship at the School of Library Service of Columbis University, N. Y., seizes this opportunity to express his appreciation and thanks to those who offered him the followship, as well as to the outstanding staff of his school at Columbia University.

DO21.2
Sh13

DO21.2
Sh13

Shahhata
al-Maktaba wa-al-
mujtama.

LIBRARY SERVICE
D021.2
Sh13

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU02171473

aba wa-al-

D021.2-S413